

شرح الطيبي

بحسب مسالك الأفاضل

المسمى بالكتاب المشتمل على مختصر ابن كثير
مصدره المقتضية للمصنف في علوم الحديث ومطالع

للإمام الكبير

شرف الدين ابن كثير بن عبد الله بن محمد بن أبي الطيبي

تأليفه ودراسة

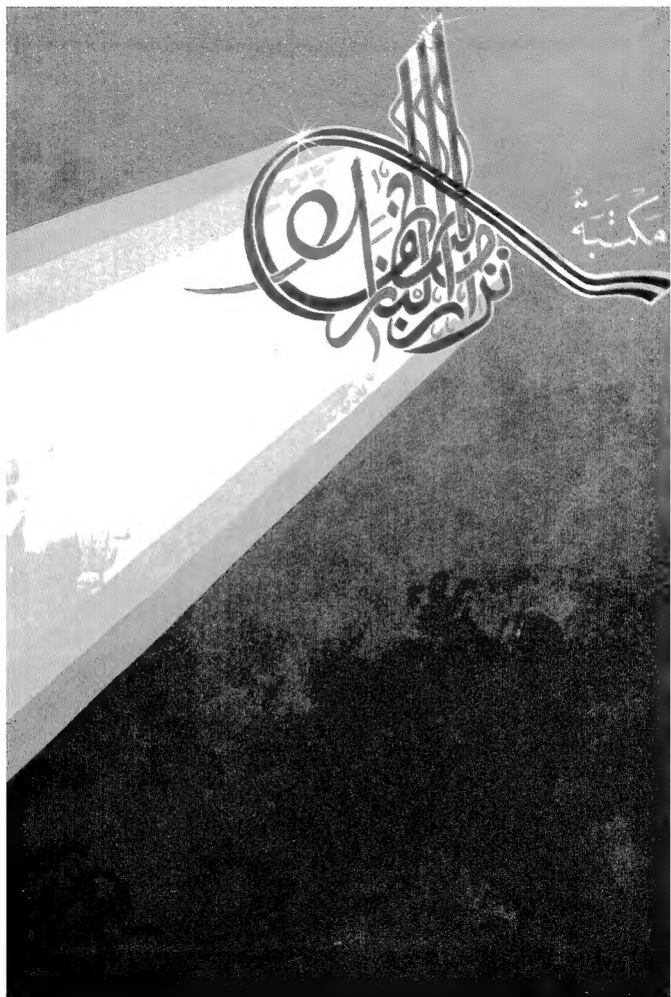
د. محمد الحكيم هندو

مركز دار العلوم - جامعة القاهرة

مكتبة دار العلوم - القاهرة

سنة النشر ١٤٠٠ هـ







شرح الطيبي

عساى مسكاه المصابيح

المستقى بالكاشف عن حقائق السنن
مصدراً بمقدمه للمحقق في علوم الحديث ومطلوع

للإمام الكبير

شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي

توفي ٧٤٣ هـ

المجلد التاسع

إعداد، مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار البزاز

تحقيقه ودراسة

د. عبد الحميد هندلوي

مكتبة نزار مصطفى الباز

سكة المراكبة - الرياض

جميع الحقوق محفوظة للناسر

○ الطبعة الأولى ○

□ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م □

المملكة العربية السعودية

مكة المكرمة: الشامية - المكتبة ٥٧٤٩٠٢٢/٥٧٤٥٠٤٤

مستودع ٥٣٧٢٣٧٤٠ ص. ب ٣٠١٩

الرياض - شارع السيويدي العام المنقطع مع شارع

كعب بن زهير - خلف أسواق الراعي ص. ب : ٦٦٩٣

مكتبة : ٤٤٠٣٥٣ : مستودع : ٢٤٢١٩١١ : الرياض ١١٥٨٦١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٥) باب حكم الأسراء

الفصل الأول

٣٩٦٠ - * عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «عَجِبَ اللهُ من قوم يُدْخِلُونَ الجنةَ في السلاسل». وفي رواية: «يُقَادُونَ إلى الجنةِ بالسلاسل». رواه البخاري.

٣٩٦١ - * وعن سلمة بن الأكوع، قال: أتى النبي ﷺ عَيْنٌ من المشركين وهو في سفر، فجلسَ عندَ أصحابِهِ يتحدثُ، ثم انفتل، فقال النبي ﷺ: «اطلبوه واقتلوه»، فقتلته فنفقنى سلبه. متفق عليه.

باب حكم [الأسراء]*

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «عجب الله» «قضى» قد سبق غير مرة من أن صفات العباد إذا أطلقت على الله تعالى أريد بها غايتها، فغاية التعجب والاستعجاب بالشئ الرضى به واستعظام شأنه. والمعنى عظم الله شأن قوم يؤخذون عنوة في السلاسل، فيدخلون في الإسلام، فيصيرون من أهل الجنة ورضى عنهم، وأحلهم محل ما يتعجب [منه]**.

وقيل: أراد بالسلاسل ما يرادون به من قتل الأنفس وسبى الأزواج والأولاد وتخريب الديار، وسائر ما يلجئهم إلى الدخول في الإسلام الذى هو سبب دخول الجنة، فأقام المسبب مقام السبب. ويحتمل أن يكون المراد بها جذبات الحق التى يجذب بها خالصة عباده من الضلالة إلى الهدى، ومن الهبوط في مهوى الطبيعة إلى العروج بالدرجات العلى إلى جنة المأوى.

الحديث الثانى عن سلمة: قوله: «عين» «قضى»: العين الجاسوس سبى به؛ لأن عمله بالعين أو لشدة اهتمامه بالرؤية واستغراقه فيها، كان جميع بدنه صار عيناً. «ثم انفتل» أى انصرف يقال: فتلته فانفتل. «فنفقنى» أى أعطانى نفلاً، وهو ما يخص به الرجل من الغنمة، ويزداد على سهمه، ويريد سلبه ما كان عليه من الثياب والسلاح، سبى به لأنه يسلب.

«حسن»: فيه دليل على أن من دخل دار الإسلام من أهل الحرب من غير أمان حل قتله، ومن تجسس للكفار من أهل اللفة كان ذلك نقضاً منه للعهد وإن فعله مسلم فلا يحل قتله بل يعزر، فإن ادعى جهالة بالحال ولم يكن متهماً يتجافى عنه. هذا قول الشافعى، وفيه دليل على أن السلب للمقاتل.

* فى «ك»: «الأسرى».

** فى «ك»: «متهم».

المالَ فسلَّ تُعْطَ منه ما شئتَ. فتركه رسولُ الله ﷺ حتى كان الغدُ، فقال له: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي ما قلتُ لك: إِنْ تُنْعِمَ تنعمَ على شاكِرٍ، وإِنْ تَقْتُلْ تقتلْ ذا دمٍ، وإِنْ كنتَ تريدُ المالَ فسلَّ تُعْطَ منه ما شئتَ. فتركه رسولُ الله ﷺ حتى كان بعدَ الغدِ، فقال له: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي ما قلتُ لك: إِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ على شاكِرٍ، وإِنْ تقتلْ تقتلْ ذا دمٍ، وإِنْ كنتَ تريدُ المالَ فسلَّ تُعْطَ منه ما شئتَ. فقال رسولُ الله ﷺ: «اطلِقُوا ثمامةً» فانطلقَ إلى نخلي قريبٍ مِنَ المسجدِ، فاغتسلَ، ثمَّ دخلَ المسجدَ، فقال: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَا

أَحمدا: معناه إِنْ تقتلْ تقتلْ صاحبَ دمٍ لدمه موضع يشقى بقتله قاتله، ويدرك قاتله به ثأره أى لرباسته وفضله.

وثانيها: إِنْ تقتلْ تقتلْ من عليه دم مطلوب به، وهو مستحق عليه فلاعتب عليك.
وثالثها: «ذا دمٍ» بالذال المعجمة وتشديد الميم أى ذا ذمام وحرمة في قومه، ورواها بعضهم في سنن أبي داود. قال القاضي: وهي ضعيفة لأنها تغلب المعنى فإن احترامه يمنع القتل. قال القاضي: ويمكن تصحيحها بأن تحمل على الوجه الأول، أى يقتل رجلا جليلا يحتفل قاتله بقتله، بخلاف ما إذا قتل حقيرا مهينا فإنه لافضيلة ولا يدرك به قاتله ثأره.
أقول: واختار الشيخ التوريشي الوجه الثاني، حيث قال: المعنى إِنْ تقتلْ تقتلْ من توجه عليه القتل بما أصاب من دمٍ، وأراه أوجه للمشاكلة التي بينه وبين قوله: «وإِنْ تنعمَ تنعمَ على شاكِرٍ».

«شف»: في تقديم ثمامة قوله: «إِنْ تقتلْ تقتلْ ذا دمٍ» على قسميه في اليوم الأول وتوسطه بينهما في اليوم الثاني والثالث، ما يرشد إلى حذاقته وحذمه؛ فإنه لما رأى غضب النبي ﷺ في اليوم الأول قدم فيه القتل تسلياً، فلما رأى أنه لم يقتله رجاً أن ينعم عليه، فقدم في اليوم الثاني والثالث قوله: «إِنْ تنعمَ».

أقول: ويمكن أن يقال: إنه لما نفى الظلم عن ساحته صلوات الله عليه، ونظر إلى استحقاله القتل لدمه، وحين نظر إلى إحسانه ولطفه صلوات الله عليه آخر القتل. وهذا أدعى للاستعطاف والعفو كما قال عيسى عليه السلام: «إِنْ تعلّمهم فإتّهم عبادك وإِنْ تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم» (١).

قوله: «حتى كان بعد الغد» اسم «كان» ضمير عائد إلى ما هو مذكور حكماً، أى حتى كان ما هو عليه ثمامة بعد الغد، نحو قولهم: إذا كان غداً فأتني، أى إذا كان ما نحن عليه غداً.

محمدًا والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلي. وإن خيلك أخلتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ، وأمره أن يعتصر، فلما قدم مكة، قال له قائل: أصبوت؟ فقال: لا، ولكني أسلمت مع رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ. رواه مسلم، واختصره البخاري.

قوله: «أبغض إلى من وجهك» وجد بالرفع على أنه صفة وجه وهو اسم «كان» و«على وجه الأرض» خبره، وهذا ليس بصحيح؛ لأن قوله: «أحب الوجوه» خبر «أصبح» قطعاً، وقد قيل، به؛ ولأن «أبغض» في القريتين الأخيرتين وقع خبراً «لكان»؛ ولأنه أخير عن الوجه بالأبغضية لا أن وجهاً أبغض كائنا على وجه الأرض، فإذا قلنا: بجواز وقوع الحال عن اسم «كان» فقوله: على وجه الأرض» كان صفة لقوله: «وجه» فقدم فصار حالاً، وإذا منعناه قلنا: إنه ظرف لغيره قدم للاهتمام ليؤذن في بدء الحال باهتمام العموم والشمول، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾ (١).

قوله: «فبشره» «مع»؛ بشره بما حصل له من الخير العظيم بالإسلام وأنه يهدم ما كان قبله- قوله: «أصبوت» وهو مهموز. «فا» صبا إذا خرج من دين إلى دين، صبا ناب البعير إذا طلع وصبا النجم.

قوله: «فقال: لا» فإن قلت: كيف قال: «لا» وهو قد خرج من الشرك إلى التوحيد؟ قلت: هو من الأسلوب الحكيم، كأنه قال: ما خرجت من الدين لأنكم لستم على دين، فأخرجته بل استحدثت دين الله، وأسلمت مع رسول الله ﷺ لله رب العالمين.

فإن قلت: «مع» تقتضي استحذات المصاحبة؛ لأن معنى المعية المصاحبة وهي مفاعلة، وقد قيد الفعل بها فيجب الاشتراك فيه كذا نص عليه صاحب الكشف في الصافات. قلت: لا يبعد ذلك فعله صلى الله عليه وسلم واقفه فيكون منه صلوات الله عليه استدامة، ومنه استحداثاً. وقوله: «ولا والله» لا يقتضي متفياً، والواو معطوفاً عليه أي لا أوافقكم في دينكم ولا أرفق بكم في هذه السنين المججلة، ثم أقسم عليه بقوله: «والله لا يأتيكم من اليمامة».

«حس» فيه دليل على جوار المن على الكافر وإطلاقه بغير مال. «مع» فيه جواز ربط

٣٩٦٥ - * وعن جبير بن مطعم، أن النبي ﷺ قال في أسارى بدر: «لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء لنتيتهم لتركتمهم له». رواه البخاري.

٣٩٦٦ - * وعن أنس: أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلمين، يريدون غرة النبي ﷺ وأصحابه، فاخذهم سلماً، فاستخياهم. وفي رواية: فاعتقهم، فأنزل الله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ (١) رواه مسلم.

الأسير وحبه وإدخال الكافر المسجد. وفيه إذا أراد الكافر الإسلام يبادر به ولا يؤخره للاغتسال، ولا يحل لأحد أن يأذن له في تأخير، وملحناً أن اغتساله واجب، إن كان عليه جنابة في الشرك سواء كان اغتسل منها أم لا. قال بعض أصحابنا: إن اغتسل قبل الإسلام أجزأه، وإن لم يكن عليه جنابة فالفصل مستحب. وقال أحمد وآخرون: يلزمه الغسل. وفي تكرير سؤاله ﷺ ثلاثة أيام تأليف لقلبه، والملاطفة لمن يرجى إسلامه من الأسارى الذين يتبعهم على الإسلام كثير من الخلق والله أعلم.

الحديث السادس عن جبير: قوله: «المطعم بن عدي»: «قفس»: هو مطعم بن عدي بن نوفل ابن عبدمناف ابن عم جد رسول الله ﷺ، وكان له يد عند رسول الله ﷺ إذ أجاره حين رجع من الطائف وذب المشركين عنه، فأحب أنه كان حياً فكافاه عليها بذلك. ويحتمل أنه قد أراد تطيب قلب ابنه جبير وتأليفه على الإسلام. وفيه تعرض بالتعظيم لشأن الرسول ﷺ وتحقير حال هؤلاء الكفرة، من حيث أنه لا يبالى بهم ويتركهم لمشرك كانت له عنده يد. و«نتى» جمع نتن بالتحريك بمعنى متن كهرمى وزمنى، وإنما سماهم «نتى» إما لرجسهم الحاصل من كفرهم على التمثيل؛ أو لأن المشار إليه أبدانهم وجيفهم الملقاة في قليب بدر.

الحديث السابع عن أنس رضي الله عنه: قوله: «غرة النبي» «مع»: أي غفلته. و«سلماً» ضبطوه بوجهين: أحدهما بفتح السين واللام وبإسكان اللام مع كسر السين وفتحها. قال الحميدى: معناه الصلح، قال القاضي: هكذا ضبطه الأكثر، قال: والرواية الأولى أظهر أي أسرمهم. وجزم الخطايب على فتح السين واللام، قال: والمراد به الاستسلام والإذعان، كقوله تعالى: ﴿وَالْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ (٢) أي الاتقياد، وهو مصدر يقع على الواحد والاثنتين والجمع. قال ابن الأثير: هذا هو الأشبه بالقضية؛ فإنهم لم يؤخذوا صلحاً وإنما أخذوا قهراً وأسلموا

(١) الفتح: ٢٤.

(٢) النساء: ٩٠.

فلان! أسركم أنكم اطعتم الله ورسوله؟ فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً؛ فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فقال عمر: يا رسول الله! ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ قال النبي ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم». وفي رواية: «ما أنتم بأسمع منهم، ولكن لا يجيبون» متفق عليه. وراد البخاري: قال قتادة: أحياءهم الله حتى أسمعهم قوله، توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرةً ونلدماً.

والجحفة اسم لشفة البعير والفرس، وقد يراد بهما شفة الإنسان، وعليه قوله تعالى في وجه: «طلعها كأنه رموس الشياطين» (١). و«الرمسة» كل موضع واسع لا بناء فيه، و«شفة الركي» أي حافة البئر، وهو جنس الركية وجمعها ركايا.

قوله: «أسركم أنكم» «مظ»: أي هل تمنون أن تكونوا مسلمين بعد ما وصلتكم إلى عذاب الله. أقول: ينبغي أن يفسر هذا بما يترتب عليه قوله: «إننا قد وجدنا»؛ لأنه كالتعليل له، فالمسرة هنا مستعارة لضدها من الحزن والكآبة تهكمًا وسخرية، كما أن البشارة في قوله تعالى: «لبشرهم بعذاب اليم» (٢) مستعارة لضدها، وكالتحية في قول الشاعر:

تحية بينهم ضرب وجيع

ومقام الشماتة والحسرة والنقمة يقتضيه؛ وينصره (٣) قول قتادة: أحياءهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً؛ فالمنى أنحنون وتتحسرون على ما فاتكم من طاعة الله ورسوله أم لا؟ وتذكرون قولنا لكم: إن الله سيظهر دينه على الدين كله، وينصر أوليائه ويخلد أعداءه، فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً.

قوله: «ما تكلم» «مظ»: «ما» استفهامية، ويجوز أن تكون موصولة.

أقول: على الأول الاستفهام فيه معنى الإنكار، ومن في «من أجساد» رالدة؛ لأن في الاستفهام معنى النفي. وعلى الثاني «ما» مبتدأ و«من» بيان له، والخبر محذوف، أي الذين تكلمهم لا يسمعون كلامك، أو «من» رالدة على ملحق الأختش، وأجساد خبر له.

قوله: «ما أنتم بأسمع» «مح» قال المازري: قيل: إن الميت يسمع عملاً بظاهر هذا الحديث، وفيه نظر؛ لأنه خاص في حق هؤلاء، ورد عليه القاضي وقال: يحمل سماعهم على ما يحمل عليه سماع الموتى في أحاديث عذاب القبر وقتته التي لا مدفع لها. وذلك بإحيائهم أو إحياء جزء منهم يعقلون به ويسمعون في الرقت الذي يريد الله تعالى. قال الشيخ: هذا هو المختار.

(١) المصنفات: ٦٥

(٢) التوبة: ٣٤.

(٣) قال مصحح «ط»: وفي السنتين «نظيره» بدل «ينصره» قلت: وكلنا حدثنا في «ك».

٣٩٦٨ - * وعن مروان، والمصور بن مخرمة، أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين، فسألوه أن يرُد إليهم أموالهم، وسيبهم. فقال: «فاختاروا إحدى الطائفتين: إما السبي، وإما المال». قالوا: فإننا نختار سبينا. فقام رسول الله ﷺ فأتى على الله بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد؛ فإن إخوانكم قد جاءوا تائبين، وإني قد رأيت أن أرُد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يعطي ذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يؤي الله علينا فليفعل» فقال الناس: قد طيبتنا ذلك يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ: «إننا لا ندرى من أذن منكم ممن لم يأذن، فارجموا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم». فرجع الناس، فكلهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم قد طيبتوا وأذنوا. رواه البخاري.

٣٩٦٩ - * وعن عمران بن حصين، قال: كان ثقيف حليفاً لبني عقيلاً فامسرت

الحديث التاسع من مروان: قوله: «قام حين جاءه» كذا في كتاب الحميدى وجامع الأصول وشرح السنة، وفي نسخ المصابيح: «قال حين جاءه فقال» والفاء في «فاختاروا» جزء شرط محذوف أى إذا جئتم مسلمين فاختاروا.

قوله: «إما السبي وإما المال» جعل المال طائفة إما على المجاز أو على التغليب. «سبى»: العلوب المشى حول الشيء، ومنه الطائف لمن يدور حول البيت ومنه استمير الطائف للمخيل والحادثة وغيرها، والطائفة من الناس جماعة منهم ومن الشيء القطعة منه.

قوله: «أن يعطي ذلك» «ذلك» إشارة إلى ما رأى رسول الله ﷺ من الراى وهو رد السبي. والمعنى من يعطي على نفسه الرد حتى يعطيه الله أجره في الآجلة فليفعل، ومن لم يعط على نفسه الرد وأراد أن يردم على [حظ] * الآجلة فيترقب حتى يعطيه من الغنيمة فليفعل. وقوله: «حتى يرفع إلينا الظاهر أن «حتى» هذه غير «حتى» السابقة لأن الأولى ما بعدها للمستقبل وهى بمعنى «كى»، وهذه ما بعدها فى معنى الحال فيكون مرفوعاً، كقولهم: شريت الإبل حتى يجىء البعير يجربطه. «مظ»: إنما استأذن رسول الله ﷺ الصحابة في رد سبيهم لأن أموالهم وسبيهم صار ملكاً للمجاهدين، ولا يجوز رد ما ملكوا إلا بأنهم.

الحديث العاشر عن عمران: قوله: «عقيل» «تو»: على صيغة المصغر قبيلة كانوا حلفاء

* فى «ط»: «حظه».

ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ، وأسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً من بني عقيلاً فأوثقوه فطرحوه في الحرة، فمر به رسول الله ﷺ، فناده: يا محمد يا محمد فيم أخذت؟ قال: «بجريمة حلفاكم ثقيف» فتركه ومضى، فناده: يا محمد يا محمد فرحمته رسول الله ﷺ، فرجع، فقال: «ما شأنك؟» قال: إني مسلم. فقال: «لو قُلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح» قال: ففداه رسول الله ﷺ بالرجلين اللذين أسرتهما ثقيف. رواه مسلم.

الفصل الثاني

٣٩٧ - * عن عائشة رضى الله عنها قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب في فداء أبي العاصي بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت عند خديجة أدخلتها بها على أبي العاص، فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقّة شديدة وقال: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوها عليها الذي لها» فقالوا: نعم. وكان النبي ﷺ

ثقيف. والحرة أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة. «نه»: والجريمة الجناية والذنب. وذلك أنه كان بين رسول الله ﷺ وبين ثقيف مودة، فلما نقضوها ولم ينكر عليهم بنو عقيلاً وكانوا معهم في المهد صاروا مثلهم في نقض المهد، فأخذ بهجرتهم. وقيل: معناه أخذت لتدفع بك جريمة حلفاكم من ثقيف، ويدل عليه أنه فدى بعد بالرجلين اللذين أسرتهما ثقيف من المسلمين.

قوله: «وأنت تملك» «خط»: يريد أنك لو تكلمت بكلمة الإسلام طائعاً راجياً قبل [الأسر]، أفلحت في الدنيا بالخلاص من الرق وفي المعنى بالنجاة من النار.

«حسن»: فيه دليل على أن الكافر إذا وقع في الأسر فادعى أنه كان قد أسلم لا يقبل قوله إلا بينة تقوم، وإذا أسلم بعد ما وقع في الأسر حرم قتله، وجاز استرقاقه، وإذا قبل الجزية بعد الأسر هل يحرم قتله؟ فيه خلاف. وفيه دليل على جواز الفداء بعد الإسلام الذي بعد الأسر، وعلى أنه لا يجب إطلاقه.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «رق لها» أى تذكر غريبتها ووحدتها وتذكر عهد خديجة وصحبته، فإن القلادة كانت لها، فلما زوجها من أبي العاص أدخلت القلادة مع زينب عليه. وقوله: «إن رأيتم» المفعول الثاني «الرأيتم» وجواب الشرط محذوفان، أى إن

* في «ط»: «الأسراء».

٣٩٧٤ - * وعن عطية القرظي، قال: كنتُ في سبي قريظة عُرِضْنَا على النبي ﷺ، فكانوا ينظرون، فمن أنبت الشعر قُتِلَ، ومن لم ينبت لم يُقَتَلْ، فكشفوا عانتي فوجدوها لم تنبت، فجعلوني في السبي. رواه أبو داود، وابن ماجه، والدارمي. [٣٩٧٤]

٣٩٧٥ - * وعن علي رضي الله عنه قال: خرجَ عبدانٌ إلى رسول الله ﷺ - يعني يومَ الحديبية قبل الصلح - فكتب إليهم مواليتهم قالوا: يا محمد والله ما خرجوا إليك رغبة في دينك، وإنما خرجوا هرباً من الرقي. فقال ناسٌ: صدقوا يا رسول الله رُدُّهم إليهم، فغضب رسول الله ﷺ وقال: «ما أراكم تتهون بامعشر قريش! حتى يبعث الله عليكم من يضرب رقابكم على هذا» وأبى أن يرُدُّهم وقال: «هم عتقاء الله» رواه أبو داود. [٣٩٧٥]

وصاحبك؟ فقال: «أبكي للذي عرض على من أصحابك من أخذهم الغداة، لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة». وأنزل الله تعالى الآية.

وأما قوله: «ثم إن الحديث روى عنه متصلاً وروى عن غيره مرسلًا، وكان ذلك مما يمنع القول بظاهره» ففيه بحث؛ فإن المرسل إذا اعتضد بضعيف متصل يحصل فيه نوع قوة فيدخل في جنس الحسن، فكيف يقال عند ذلك؟ «وكان ذلك مما يمنع القول بظاهره». وقول الترمذي: هذا حديث غريب لا يشعر بالظعن فيه؛ لأن الغريب قد يكون صحيحاً.

الحديث الخامس عن عطية: قوله: «ومن لم ينبت لم يقتل» «تو»: إنما اعتبر الإنبات في حقهم لمكان الضرورة؛ إذ لو سئلوا عن الاحتلام أو عن مبلغ سنهم لم يكونوا ليحدثوا بالصدق إذا رأوا فيه الهلاك. والسن إنما تتبع على ما وجدت في موضعها ولا تصرف عن جهتها.

الحديث السادس عن علي رضي الله عنه: قوله: «عبدان» بكسر العين وضمها. ويسكون الباء ويكسرهما مع تشديد الدال جمع عبد، وقد روى في الحديث بالصيغتين الأولىين. وقوله: «ما أراكم تتهون» فيه تهديد عظيم حيث نفى العلم بانتهاهم وأراد ملزومهم وهو انتهاهم، كقوله تعالى: «أتنتهون الله بما لا يعلم» (١) أي بما لا ثبوت له ولا علم الله بمتعلق به. وقوله: وقال: «هم عتقاء الله» عطف على قوله: وقال «ما أراكم».

[٣٩٧٤] أخرجه أبو داود (٤٤٠٤)، والترمذي (١٥٨٤)، والنسائي (١٥٥/٦)، وإسناده حسن انظر

شرح السنة (٧٨/١١)

[٣٩٧٥] صحيح انظر صحيح أبي داود (٢٣٤٩).

(١) يونس: ١٨

الفصل الثالث

٣٩٧٦ - * عن ابن عمر، قال: بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جليمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا: أَسْلَمْنَا، فجعلوا يقولون: صَبَانَا صَبَانَا، فجعل خالد يقتل ويأسر، ودفع إلى كل رجلٍ منّا أسيرَه، حتى إذا كان يومَ أمرٍ

وقوله: «أبى أن يردهم» من قول الراوى معترض بينهما على سبيل التأكيد.

«تو»: وإنما غضب رسول الله ﷺ لأنهم عارضوا حكم الشرع فيهم بالظن والتخمين. وشهدوا لأوليائهم المشركين بما ادعوه أنهم خرجوا هرباً من الرق لارغبة في الإسلام، فكان حكم الشرع فيهم أنهم صاروا بخروجهم من دار الحرب مستصممين بعروة الإسلام أحراراً، وكانت معاونتهم لأوليائهم تماوياً على العدوان.

«خط»: فيه إن عبداً لأهل الحرب لو دخل دار الإسلام مسلماً فهو حر، ولا يجوز رده إليهم. ولو أن العبد غلب على سيده في دار الحرب ثم خرج به إلينا مسلمين، ويد العبد ثابتة على السيد كان السيد مملوكاً والمملوك مالكاً، ولو خرج إلينا وفي يده عبد له فأسلمنا قبل أن نقدر عليهما، فالحكم السابق مقرر على ما كان.

الفصل الثالث

الحديث الأول من ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: «حتى إذا كان يوم» معناه محذوف و«كان» تامة، أى دفع إلينا الأسير وأمرنا بحفظه إلى يوم يأمرنا بقتله، فلما وجد ذلك اليوم أمرنا بقتلهم. وكذا «حتى» في قوله: «حتى قدمنا» فإن التقدير: لا يقتل رجل من أصحابي أسيره، بل يحفظه حتى يقدم إلى رسول الله ﷺ فحفظنا حتى قدمنا. وقوله: «إني أبرأ إليك» ضمن «أبرأ» معنى أنهى فعلاه بدإلى أى أنهى إليك براءتى وعدم رضائي من فعل خالد، نحو قولك: أحمد إليك فلاناً.

«خط»: إنما نقم رسول الله ﷺ من خالد موضع المجلة، وترك الثبوت في أمرهم إلى أن يستبين المراد من قولهم: صَبَانَا؛ لأن الصبا معناه الخروج من دين إلى دين؛ وكذلك كان المشركون يدهون رسول الله ﷺ الصابىء، وذلك لمخالفته دين قومه، فقولهم: صَبَانَا صَبَانَا يحتمل أن يراد به خرجنا من ديننا إلى دين آخر غير الإسلام من يهودية أو نصرانية أو غيرهما. فلما لم يكن هذا القول صريحاً في الانتقال إلى دين الإسلام نفذ خالد فيهم القتل؛ إذ لم توجد شريطة حقن الدم بصريح الاسم. وقد يحتمل أنه ظن أنهم إنما عدلوا عن اسم الإسلام أنفة من الاستسلام والافتقار.

أقول: ولعل الاحتمال الثانى أوجه؛ لأن صبا كلام ذو وجهين؛ فإنه إذا نظر في اللغة لم

خالدٌ أن يقتلَ كلَّ رجلٍ مِنَّا أسيرَه. فقلتُ: والله لا أقتلُ أسيري، ولا يقتلُ رجلٌ من أصحابي أسيرَه، حتى قدمنا على النبي ﷺ فذكرناه، فرفع يديه، فقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالدٌ مرتين». رواه البخاري.

(٦) باب الأمان

الفصل الأول

٣٩٧٧ - * عن أم هانئ بنت أبي طالب، قالت: ذهبتُ إلى رسول الله عام الفتح، فوجدته يقتلُ فاطمة ابنته تسترهُ بثوب، فسلمتُ، فقال: «مَنْ هذه؟» فقلت: أنا أم هانئ بنت أبي طالب. فقال: «مرحباً بأم هانئ». فلما فرغ من غسله، قام فصلَّى ثماني ركعات ملتحفاً في ثوب، ثم انصرف، فقلت: يا رسول الله رعم ابن أمي عليّ أنه قاتل رجلاً أجرته فلان بن هُبيرة. فقال رسول الله ﷺ: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ!» قالت أم هانئ: وذلك ضحى. ومتفق عليه. وفي رواية للترمذي، قالت: أجرت رجلين من أحماني فقال رسول الله ﷺ: «قد أمنا من أمنت»

يكن فيه ذم، وكان مراد القوم هذا، وإذا نظر إلى استعمالهم كان ذمًا، ولذلك سموا رسول الله ﷺ العصاباء، وثمامة لما قيل له: «اصبوت»، استكف وقال: «لا ولكني أسلمت» ولما كان هذا الوجه أظهر وأشهر حمل خالد عليه فبدا منه ما بدا. ومنه قوله تعالى: ﴿لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا﴾ (١) فإن معنى «راعنا» راقبنا، وهي كلمة سريانية أو عبرانية، كانت اليهود يتسابون بها، فلما سمعوا من المسلمين اقترضوها وخاطبوا وقالوا: راعنا وعنوا به تلك المسبة. والله أعلم.

باب الأمان

الفصل الأول

الحديث الأول عن أم هانئ: قوله: «أجرت رجلين» «غب»: تعور من الجار معنى القرب، ف قيل لمن يقرب من غيره جاره، ولما استعظم حق الجار عقلا وشرعاً عبر عن كل من يعظم حقه، [ويستعظم] * حق غيره بالجار، ويقال: استجرت فلاناً فأجارني.

[٣٩٧٧] صحيح الترمذي ح (١٢٨٤).

(١) البقرة: ١٠٤.

* في ذلك:

الفصل الثاني

٣٩٧٨ - * عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمَرْأَةَ لَتَأْخُذَ لِلْقَوْمِ» يعني تُجِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. رواه الترمذي. [٣٩٧٨]

٣٩٧٩ - * وعن عمرو بن الحمق، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ أَمَّنَ رَجُلًا عَلَى نَفْسِهِ فَقَتَلَهُ، أُعْطِيَ لَوَاءَ الْغَدْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». رواه في شرح السنة. [٣٩٧٩]

٣٩٨٠ - * وعن سليم بن عامر، قال: كَانَ بَيْنَ معاويةَ وبين الروم عهدٌ، وكانَ يسيرُ نحو بلادهم، حتى إذا انقضى العهدُ، أغارَ عليهم، فجاء رجلٌ على فرسٍ أو برذونٍ، وهو يقول: اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، وفاءٌ لا غدْرَ. فنظرَ فإذا هوَ عمرو بنُ عبسة،

الفصل الثاني

الحديث الأول عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «يعني تجير على المسلمين» يقال: أجزت فلانًا على فلان إذا [أغشته] * منه ومنعته. وإنما فسره به لإيهامه؛ فإن مفعول قوله: «لتأخذ» محذوف، أى الأمان، والدال عليه قرائن الأحوال.

الحديث الثاني عن عمرو: قوله: «لواء الغدر» استعارة ومجموع الكلام كناية عن فضيحتة على رهوس الأشهاد.

الحديث الثالث عن سليم: قوله: «على فرس أو برذون» المراد بالفرس هنا العربى، وبالبرذون التركى من الخيل. وقوله: «وفاء لا غدور» فيه اختصار وحذف لفيق المقام. أى ليكن منكم وفاء لا غدور، يعنى بعيد من أهل الله وأمة محمد ﷺ ارتكاب الغدر؛ وللاستبعاد صلب الجملة بقوله: «الله أكبر» وكرره.

«حسن»: وإنما كره عمرو بن عبسة ذلك؛ لأنه إذا هادنهم إلى مدة وهو مقيم في وطنه، فقد صارت مدة ميسرة بعد انتفاء الملة المضروبة، كالمشروط مع الملة في أن لا يفرّجهم فيها. فإذا صار (١) إليهم في أيام الهدنة كان إيقاعه قبل الوقت الذى يترقبونه، فعد ذلك عمرو غدركاً. وأما إن نقض أهل الهدنة، بأن ظهرت منهم خيانة، له أن يسير إليهم على ففلة منهم.

[٣٩٧٨] حسن انظر صحيح الترمذى ح (١٢٨٣).

[٣٩٧٩] صحيح انظر صحيح الترمذى بنحوه ح (١٢٨٦).

(١) قال محقق (ط): «كلما في النسخ كلها وفي المرقاة «سارة» بالسين» قلت: «ك»: «صار». بالصاد على الصواب.

* كلما في (ط) وغير واضحة في (ك).

عهدٌ، فلا يُحلن عهدك ولا يشدنه، حتى يمضي أمدُه أو يتبدَّ إليهم على سواءٍ قال: فرجع معاويةً بالنَّاسِ. رواه الترمذي، وأبو داود. [٣٩٨٠]

٣٩٨١ - وعن أبي رافع، قال: بعثني قريشٌ إلى رسول الله ﷺ، فلما رأيتُ رسولَ الله ﷺ ألقى في قلبي الإسلامَ، فقلتُ: يا رسولَ الله! إني والله لا أرجعُ إليهم أبداً. قال: «إني لا أخيسُ بالعهدِ، ولا أحبسُ البردَ، ولكن أرجعْ فإن كانَ في نفسك

قوله: «فلا يحلن عهدك ولا يشدنه» هكذا بجملة عبارة عن عدم التغيير في العهد فلا يلحظ إلى اعتبار معاني مفرداتها. قوله: «على سواء» هو حال. «خطأ» أي يعلمهم أنه يريد أن يفزّوهم وأن الصلح الذي كان بينهم قد ارتفع، فيكون الفريقان في علم ذلك على سواء. الحديث الرابع عن أبي رافع: قوله: «ألقى في قلبي الإسلام» فيه أن إلقاء الإسلام لم يتخلف عن الرواية، وأشد في معناه:

لو لم تكن فيه آيات مينة كانت بداهته تنبئك عن خبره
فدل على فراسته ودعائه ونظيره الصائب. وأن في رسول الله ﷺ سوى المعجزات ما لو نظر إليه الناظر الثابت النظر الفطن لأمن. وقوله: «والله لا أرجع إليهم أبداً» كناية عن تمكن الإسلام من قلبه، ولذلك أكده بالقسم وذيله بقوله: «أبداً» وإليه الإشارة بقوله: «فإن كان في نفسك الذي في نفسك الآن فارجع» كأنه أراد أن يظهر الإسلام بعد أخذه بمجامع قلبه، قبل له: لا تظهر لأنه متضمن لنقض العهد أو لضررك برجوعك إليهم.
قوله: «لا أخيس» «نه»: أي لا أنقضه. يقال: خاس بعهد إذا نقضه. وخاس بوعده إذا أخلفه.

قوله: «ولا أحبس البرد» أي الرسل وهو جمع يريد. «فا»: البريد في الأصل البغل وهي كلمة فارسية أي بريدة دم. وهو المحلوف اللئب لأن بغال البريد كانت محلوفة الانتاب، فعريت وخففت. ثم سمي الرسول الذي يركب البريد باسمه، والمسافة التي بين السكتين بريدك. والسكة الموضع الذي كان يسكنه الفيوج* المرتبون من رباط أو قبة أو بيت أو نحو ذلك. وبعد ما بين السكتين فرسخان، وكان يرتب في كل سكة بغال.

أقول: المراد بالعهد هنا العادة الجارية المتعارفة بين الناس، من أن الرسل لا يتعرض لهم بمكره، ويدل عليه قوله في الحديث الآتي بعنه: «أما والله لولا أن الرسل لا تقتل» الحديث. ألا ترى كيف صدر الجملة بلفظة «أما» التي هي من طلائع القسم ثم حقيها به دلالة على أن

[٣٩٨٠] صحيح انظر صحيح الترمذي ح (١٢٨٥).

* واحداً فيج: والفيج هو الفيوج: الجماعة من الناس.

الذي في نفسك الآن فارجم» قال: فذهبتُ ثم أتيتُ النبي ﷺ فأسلمتُ. رواه
أبو داود. [٣٩٨١]

٣٩٨٢ - * وعن نعيم بن مسعود، أن رسولَ الله ﷺ قال لرجلينِ جاءا من عند
مسيلمة: «أما والله لو لا أن الرُّسلَ لا تقتلُ لضربتُ أعناقكما» رواه أحمد،
وأبو داود. [٣٩٨٢]

٣٩٨٣ - * وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، أن رسولَ الله ﷺ قال في
خطبة: أوفوا بحلف الجاهليّة، فإنّه لا يزيدُه - يعني الإسلامَ - إلّا شدّةً، ولا تُحدثوا
حلفًا في الإسلامِ رواه الترمذي من طريقِ ابنِ ذكوان عن عمرو
وقال: حسن. [٣٩٨٣]

وذكرَ حديثَ عليٍّ: «المسلمون تنكافوا» في «كتاب القصاص».

ارتكاب هذا الأمر من عظام الأمور. فلا ينبغي أن يرتكب. وقوله: «ولكن ارجع» استدراك عن
مقدر أي لا تقم هاهنا ولا تظهر الإسلام «ولكن ارجع» إلى آخره.

الحديث الخامس عن نعيم: قوله: «لولا أن الرسل لا تقتل» «تو»: وذلك لأنهم كما حملوا
تبليغ الرسالة حملوا بتبليغ الجواب، فلزمهم القيام بكلا الأمرين فيصرون برفض بعض ما
لزمهم موسمين بسمة القدر، وكان نبي الله ﷺ أبعد الناس عن ذلك، ثم إن في تردد الرسل
المصلحة الكلية، ومهما جور حسبه أو التعرض لهم بمكره، صار ذلك سبباً لانقطاع السبيل
بين الفتن المختلفتين. وفي ذلك من الفتنة والفساد ما لا يخفى على ذى اللب موقعه. وقوله:
«لضربت أعناقكما» إنما قال لهما ذلك؛ لأنهما قالَا بحضرته: نشهد أن مسيلمة رسول الله.

الحديث السادس عن عمرو: قوله: «فإنّه لا يزيدُه» اسم «إن» ضمير الشأن وفاعل «يزيده»
مضمّر لفسره بالإسلام. «نه»: أصل الحلف المعاقدة على التعاضد والتساعد والإنفاق. فما كان
منه في الجاهلية على الفتن والقتال بين القبائل، فذلك الذي ورد النهي عنه في الإسلام بقوله
ﷺ: «لا حلف في الإسلام» وما كان منه في الجاهلية على نصرة المظلوم وصلة الأرحام كحلف
المطّيعين وما يجرى مجراه، فذلك الذي قال فيه ﷺ: «أبما حلف كان في الجاهلية لم يزد
الإسلام إلّا شدّة».

قوله: «ولا تحدثوا حلفًا في الإسلام» والتذكير فيه يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون
للجنس أي لا تحدثوا حلفًا ما. والآخر أن يكون للتعصّب.

[٣٩٨١] صحيح انظر صحيح أبي داود ح (٢٢٩٦).

[٣٩٨٢] حسن انظر صحيح الجامع ح/١٣٣٩.

[٣٩٨٣] حسن انظر صحيح الترمذي ح (١٢٨٩).

الفصل الثالث

٣٩٨٤ - * عن ابن مسعود، قال: جاء ابن النواحة وابن أنال رسولاً مسليمة إلى النبي ﷺ، فقال لهما: «أتشهدان أني رسول الله؟» فقالا: نشهد أن مسليمة رسول الله. فقال النبي ﷺ: «أمنت بالله ورسوله، ولو كنت قاتلاً رسولاً لقتلتكما» قال عبد الله: فمضت السنة أن الرسول لا يقتل. رواه أحمد. [٣٩٨٤]

(٧) باب قسمة الغنائم والغلول فيها

الفصل الأول

٣٩٨٥ - * عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، قال: «فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا، ذلك بأن الله رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا» متفق عليه.

«مط»: يعني إن كنتم حلقتم في الجاهلية بأن يعين بعضكم، بعضاً، ويرث بعضكم من بعض، فإذا أسلمتم فافوقوا به، فإن الإسلام يحرضكم على الوفاء به، ولكن لاتحدثوا مخالفة في الإسلام بأن يرث بعضكم من بعض.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن ابن مسعود: قوله: «قالا: نشهد أن مسليمة رسول الله» جواب غير مطابق للسؤال ولا لنفس الأمر؛ لأن رسول الله ﷺ أراد بقوله: «أتشهدان أني رسول الله» إني قد ادعيت الرسالة وصدقتها بالمعجزة، فأقرا بذلك، فقولهما: «نشهد أن مسليمة» رد لهذا المعنى كأنهما أنكرا أن الرسالة تثبت بالمعجزة. وكان جوابهما من الأسلوب الأحق، وقول رسول الله ﷺ لهما بعد ذلك: «أمنت بالله ورسوله» إشارة إلى هذا المعنى حيث لم يقل: أمنت بالله وي. بل قال: «ورسوله» أي لمن ادعى الرسالة، وأثبتها بالمعجزة كائنًا من كان، وهو من الكلام المنصف. وكانهم ترقبوا أن يشرك رسول الله ﷺ مسليمة في الرسالة، فنفاه بقوله: «ورسوله» أي إنه ليس من معنى الرسالة في شيء، فيكون كلامه ﷺ من الأسلوب الحكيم. وقوله: «فمضت السنة» معناه جرت السنة على العادة الجارية فجعلتها سنة.

باب قسمة الغنائم والغلول فيها

المغرب: الغنيمة ما نيل من أهل الشرك عنوة والحرب قائمة، وهو أهم من الغل، والغنيمة أهم من الغنيمة؛ لأنه اسم لكل ما صار للمسلمين من أموال أهل الشرك. قال أبو بكر الرازي:

[٣٩٨٤] رواه أحمد في مسنده (١/٣٩٦، ٤٠٤).

٣٩٨٦ - * وعن أبي قتادة، قال: خرجنا مع النبي ﷺ عام حنين، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة، فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين، فضربته من ورائه على حبل عاتقه بالسيف، فقطعت الدرع، وأقبل عليّ فضمني ضمةً وجدتُ منها ريح الموت، ثم أدركه الموت فارسلني، فلحقت عمر بن الخطاب، فقلت: ما بال الناس؟ قال: أمر الله، ثم رجعوا وجلس النبي ﷺ فقال: «مَنْ قَتَلَ

الغنيمة فيء والجزية فيء ومال أهل الصلح فيء والخراج فيء؛ لأن ذلك كله مما آفاه الله على المسلمين من المشركين، وعند الفقهاء كل ما يحل أخذه من أموالهم فهو فيء».

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «فلم تحل» الفاء عاطفة على كلام سابق لرسول الله ﷺ على هذا، ولقطة «قال» للراوى يوضحه حديث أبي هريرة في الفصل الثالث، والمشار إليه بذلك، ما في المتن يبينه الخبر. وهو استقرار حل يوجبه الضعف والعجز. «مط»: «ذلك» إشارة إلى تحليل الله الغنائم.

الحديث الثانى عن أبي قتادة: قوله: «جولة» «نه»: يقال: جال واجتال إذا ذهب وجاء، ومنه الجولان في الحرب، والجالل الزائل عن مكانه.

«تو»: أى الصحابى كره لهم لفظ الهزيمة فكأنها بالجولة. ولما كانت الجولة مما لا استقرار عليه. استعمالها في الهزيمة؛ تنبيهاً على أنهم لم يكونوا استقروا عليها.

«مع»: وإنما كانت الهزيمة من بعض الجيش، وأما رسول الله ﷺ وطائفة معه فلم يزالوا، والأحاديث الصحيحة في ذلك مشهورة. ولم يرو أحد قط أن رسول الله ﷺ انهزم في موطن من المواطن، بل ثبت فيها بإقدامه وثباته في جميع المواطن. وحبل العاتق ما بين العنق والكف، وريح الموت استعارة من أثره أى وجدت منه شدة كشدة الموت.

قوله: «ما بال الناس؟» يحتمل وجهين: أحدهما: ما بالهم متهمين فكان جوابه: أمر الله، أى كان ذلك من قضاء الله وقدره. وثانيهما: ما بال الناس؟ أى ما حال المسلمين بعد الانهزام؟ فكان جوابه: أمر الله غالب - أى النصر للمسلمين.

ومعنى قوله: «ثم رجعوا» على الأول: ثم رجع المسلمون بعد الهزيمة. وعلى الثانى: رجعوا بعد انهزام المشركين، وينصر الثانى قوله: وجلس النبي ﷺ... إلى آخره. قوله: «قتيلاً» أوقع القتل على المقتول باعتبار ماكاه، كقوله تعالى: «أعصر خمراً»^(١).

(١) يوسف: ٣٦.

الله ورسوله فيعطيك سلبه. فقال النبي ﷺ: «صدق فاعطه فاعطانيه، فابتعت به مخرقا في بني سلمة، فإنه لأول مال تألثت في الإسلام. متفق عليه.

يتمتع اجتماع أن الناصبة مع الفاء في جواب الأشياء الستة، وليست الفاء عوضا من حرف النصب، وإنما نشأ هذا الحكم الوهمي من أن العوض والمعوض عنه لا يصح اجتماعهما، فلذهب الوهم إلى العكس الكلي وليس كذلك. ثم قال الخليل: «ذا» في «لاها الله ذا» وفي «ها لعمر الله ذا» مقسم عليه، وأصله: والله للأمر هذا، فقدم «ها» وجعل عوضا عن الواو لكثرة القسم بالله. وقال الأخفش: هو من جملة القسم تأكيد له كأنه قال: ذا قسمي لأمرين الأول: أنهم يذكرون المقسم عليه بعنه نحو لاها الله ذا لقد كان كذا، وهذا يدل على أنه من جملة القسم. الثاني: أنهم يأتون بالمقسم عليه متفيا، ولو كان ذا من المقسم عليه وهو مثبت لكان المقسم عليه إذا ذكر طائفة في الإثبات.

قال الحاجبي: كلا القولين باطل، أما قول الخليل فلأن المقسم عليه على ما قاله في هذا الكلام مثبت، وقد علم بالاستقراء أنه منفي؛ إذ لا نزاع في أن «لا» في «لاها الله» للنفي. وأما قول الأخفش فلأنه أيضا قد مر مثبتا، وأجاز حذفه بأسره، وهو خلاف الأصل وجعل «ذا» إشارة إلى القسم ولم يوجد له نظير في كلامهم. ثم قال: والمستقيم أن يجعل ذا مقسم عليه لا على ما ذكره الخليل، بل على معنى «لاها الله» يكون الأمر، فيسلم من المحذورات المتقدمة. قال الدار الحديثي [استقراءهما] أقوى من استقراؤه. ونص الزمخشري أن «لا» في «لاها الله» رائدة للتوكيد، كقوله تعالى: ﴿لَا أَسْمُ﴾ (١) كما قال الخليل والأخفش، وما ورد في هذا الحديث حمله بعض النحويين على أنه غلط من بعض الرواة، إذ العرب لا تستعمل «لاها الله» بدون «ذا» وإن سلم استعماله بدون ذا فليس هذا موضع «إذن»؛ لأنه للجزاء. وهو هاهنا على نقيضه ومقتضى الجزائية أن لا يذكر «لا».

ويقال: إذا «يعمد إلى أسد» ليصح جوابا لطالب السلب، وليس بعامل فقالوا: الظاهر أن الحديث «لاها الله إذا لا تعمد» فصحف ثم نقل كذلك، قال: الحديث صحيح، ولا يجب أن تلامر ذاها القسم كما لا يجب أن تلامر ذاها غيرها من حروفه. وتحقيق الجزائية (بإذن لا تعمد) أصح؛ إذ معناه إذا صدق أسد غيرك لا يعمد النبي ﷺ بإبطال حقه وإعطاء سلبه إياك. أقول: وفي شرح مسلم للشيخ محيي الدين عن أبي زيد ما يشعر بأن «إذن» رائدة، ونظيره في الزيادة قول الحماسي: إذا لقم بنصري.

قال أبو البقاء: قيل: جواب لو لم تستبح. وقوله: «لقام» يدل منه. فيكون التقدير: والله لا يعمد إلى أسد، كقولك: والله إذن لا أفعل. والعجب من الذين يحتجون بشرح الحديث، كيف يرجعون نقل بعض الأدباء على أولئك الجهابذة من المحدثين وينسبون الغلط والتصحيح إليهم. ولا أقول: هم أعدل وأتقن ونقلهم أوثق؛ إذ هو يقتضى المشاركة بينهم. والله در الدار الحديثي حيث ذب عنهم بما هو الحق الصريح والصدق المحض.

(١) القيامة: ١.

«في «ط»: «استقراءهما» والتصويب من «ك».

٣٩٨٧ - * وعن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ أسهم للرجل ولفرسه ثلاثة أسهم: سهماً له وسهمين لفرسه. متفق عليه.

«مع»: فيه دليل على أن هذه اللفظة تكون بمعنا. قال أصحابنا: إن نوى اليمين كانت بمعنا وإلا فلا؛ لأنها ليست متعارفة في الأيمان. قوله: «عن الله» فيه وجهان: أحدهما أن تكون «عن» صلة، فيكون المعنى يصدر قتاله عن رضى الله ورسوله، أى بسببهما كقوله تعالى: ﴿وما فعلته من أمرٍ﴾^(١) وقول الشاعر:

وينهون عن أكل وعن شرب

وثانيهما: أن يكون حالا أى يقاتل ذابا عن دين الله أعداء الله ناصراً لأولياء الله.

«مع»: المعنى يقاتل لنصرة دين الله وشرعية رسوله؛ لتكون كلمته هى العليا. وفيه دلالة ظاهرة على فضل الصديق رضى الله عنه ومكانته عند رسول الله ﷺ؛ لإفناؤه بحضرته صلوات الله عليه وتصديقه له وعلى منقبة أبي قتادة؛ فإنه سماه أسداً من أسد الله. والمخرف بفتح الميم والراء هنا البستان. وقيل: السكة من النخل يخترق منه الثمر أى يجتنى. والمخرف بكسر الميم وفتح الراء الوعاء الذى يجعل فيه ما يجتنى من الثمار. وقوله: «تأثله» أى اقتنيته وتاصلته.

الحديث الثالث عن ابن عمر رضى الله عنهما: قوله: «سهما له» «مظ»: اللام في قوله: «سهما له» لام التمليك. وفي «لفرسه» لام النسبة. «حسن»: لفناؤه في الحرب و[لما] * يلزمه مؤنه إذا كان معلوماً أن مؤنة الفرس متضاعفة على مؤنة صاحبه.

«تو»: هذا الحديث صحيح لا يرون خلافه. وإنما ترك أبو حنيفة العمل بهذا الحديث لا لراهيه بل لما يعارضه من حديث ابن عمر أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «للفارس سهمان وللراجل سهم». وأبو حنيفة أخذ بهذا الحديث لحديث مجمع بن حارثة وهو مذكور في الحسان.

«مع»: اختلفوا فيه فقال ابن عباس ومجاهد والحسن وابن سيرين وعمر بن عبد العزيز ومالك والأوزاعي والثوري والليث والشافعي وأبو يوسف ومحمد وأحمد وإسحاق وأبو عبيد وابن جرير وآخرون: للفارس ثلاثة أسهم. وقال أبو حنيفة: للفارس سهمان فقط، سهم له وسهم لها. ولم يقل بقوله هذا أحد إلا ما روى عن علي وأبي موسى رضى الله عنهما. وحجة الجمهور هذا الحديث وهو صريح. وأما الحديث المذكور فيه: «قسم من النفل للفارس سهمين وللرجل سهم» هكذا في أكثر الروايات. وفي بعضها: «للفارس سهمين وللراجل سهماً» بالالف وفي بعضها للفارس سهمين، والمراد بالنفل هنا الغنيمة لغة؛ فإن النفل في اللغة الزيادة والعطية والغنيمة عطية من الله تعالى، ومن روى للراجل بالالف فروايته محتملة، فيتميم حملها على موافقة الأول جمعاً بين الروايتين.

(١) الكهف: ٨٢.

* من «ك» وفى «ط»: «لا».

٣٩٨٨ - * وعن يزيد بن هرمز، قال: كتب نجلدة الحروريُّ إلى ابن عباس يسأله عن العبد والمرأة يحضران المغنم، هل يُقسم لهما؟ فقال ليزيد: اكتب إليه أنه ليس لهما سهم، إلا أن يحلِّيا. وفي رواية: كتب إليه ابن عباس: إنك كتبت إلي تسألني: هل كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء؟ وهل كان يضرب لهنَّ بسهم؟ فقد كان يغزو بهنَّ يُداوينَ المرضى ويحلِّينَ من الغنيمة، وأما السهم فلم يضرب لهنَّ بسهم. رواه مسلم.

٣٩٨٩ - * وعن سلمة بن الأكوع، قال: بعث رسول الله ﷺ بظهره مع رباح غلام رسول الله ﷺ وأنا معه، فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن الفزاريُّ قد اغار على ظهر رسول الله ﷺ، فقمعتُ على أكمة، فاستقبلتُ المدينة فنادتُ ثلاثاً: يا صباحاهُ ثم خرجتُ في آثار القوم أرميهم بالنبل، وأرتجز وأقول:

أقول: يريد أنه لما تعارض الروايان في هذا الحديث أحنى فارس وفارس وراجل وراجل، فينبغي أن ترجح إحدى الروايتين على الأخرى فرجحنا الأولى لحديث ابن عمر [على] * أن رواية إحدى الروايتين أكثر من الأخرى. وإن تأول الأخرى بأن المراد بالسهم النصيب على الإجمال، أي للفارس نصيبان، نصيب له ونصيب لفارسه فيكون المبين الرواية الأخرى، وحديث ابن عمر بينه الحديث الذي يتلوه في حديث ابن الأكوع: «أعطاني ﷺ سهمين» إذ لم يرد به المساواة؛ لقوله: «سهم للفارس وسهم للراجل». وأما حديث مجمع فعليه كلام سيحى.

الحديث الرابع عن يزيد: قوله: «اكتب إليه أنه» أنه بالفتح ظاهر ويجوز الكسر على الحكاية أي اكتب معنى هذا القول. وقوله: «إنك كتبت» الظاهر فيه الكسر، ويجوز الفتح على المعنى أي اكتب معنى هذا القول. قوله: «إلا أن يحلِّيا» أي إلا أن يعطيا. «نه»: في الحديث «إن لم يحدك من عطره حلقك من ريحه» أي إن لم يعطك، يقال: أحلته أحليه وهي الحلية والحلية، وكذا قوله: «يحلين من الغنيمة» أي يعطين. «حسن»: العمل على هذا عند أكثر أهل العلم أن العبد والعبيان والنسوان إذا حضروا القتال يرضخ لهم ولا يسهم.

الحديث الخامس عن سلمة: قوله: «بظهره» «نه»: الظهر الإبل التي يحمل عليها ويركب، يقال: عند فلان ظهر أي إبل. «والأكمة» هي الرابية. وفي صباحاه كلمة يقولها المستغيث وأصلها إذا صاحوا للعارفة؛ لأنهم أكثر ما يغيرون عند الصباح، فكان المستغيث يقول: قد خشنا العدو، وقيل: هو نداء المقاتل عند الصباح يعني قد جاء وقت الصباح فتأهبوا للقتال.

* سقط من «ط».

أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ

فَمَا رَلْتُ أَرْمِيهِمْ، وَأَعْقَرُ بِهِمْ حَتَّى مَاخَلَقَ اللَّهُ مِنْ بَعِيرٍ مِنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا
خَلَقَتْهُ وَرَاءَ ظَهْرِي، ثُمَّ اتَّبَعْتُهُمْ أَرْمِيهِمْ، حَتَّى أَتَقُوا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ بَرْدَةً وَثَلَاثِينَ
رُمْحًا، يَسْتَخِفُّونَ، وَلَا يَطْرَحُونَ شَيْئًا إِلَّا جَعَلْتُ عَلَيْهِ آرَامًا مِنَ الْحِجَارَةِ، يَعْرِفُهَا
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى رَأَيْتُ فَوَارِسَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلِحِقَ أَبُو قَتَادَةَ فَارِسَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ فَقَتَلَهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ فَرَسَانَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ،
وَخَيْرُ رَجَالِنَا سَلْمَةُ». قَالَ: ثُمَّ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَهْمَيْنِ: سَهْمَ الْفَارِسِ وَسَهْمَ

قوله: «اليوم يوم الرضع» مع: أي يوم هلاك اللثام من قولهم: لثيم راضع أي راضع اللؤم
في بطن أمه. وقيل: لأنه يمص حلمة الشاة والناقة لثلا يسمع السؤال والضيغان صوت الحلاب
فيقصدونه. وقيل: اليوم يعرف من أرضعته كريمة فأشجعته، أو لثيمة فأجسته. وقيل: معناه اليوم
يعرف من أرضعته الحرب من صفوه وتلدب بها ويعرف غيره.

قوله: «وأعقر بهم» نه: أي أقتل مركوبيهم، يقال: عقرت به إذا قتلت مركوبه وجعلته
راجلا. أقول: يريد أنه كناية عن جعل الفارس راجلا؛ لأنه إذا أعقر دابته وهو عليها سقط
منها، فيبقى راجلا والباء في «بها» مظهر في قول الشاعر:

تدوس بنا الجماجم والتريا

قوله: «من ظهر رسول الله ﷺ» بيان قوله: «من بعير» و«من» فيه رائدة تفخيما لشأنها؛
ولذلك قال: «خلق الله» كأنه أخذته العزة والحمية على أن يغير أولئك اللثام أمثال هذه
الشرافف، ألا ترى كيف ارتجز بقوله: «اليوم يوم الرضع» وكرر اليوم في الخبر أي يوم له
شأن. يوم يظهر لمن أرضعته الحرب شجاعته.

قوله: «آراما» نه: الآرام الأعلام وهي الحجارة تجمع وتنصب في المفازة يهتدى بها،
واحدًا إرم كعنب، وكان من عادة الجاهلية إذا وجلوا شيئًا في طريقهم لا يمكنهم استصحابه،
تركوا عليه حجارة يعرفونه بها حتى إذا عادوا أخذوه.

قوله: «سهم الفارس وسهم الراجل» نه: يشبه أن يكون إنما أعطاه من الغنيمة سهم
الراجل فحسب؛ لأن سلمة كان راجلا في ذلك اليوم وأعطاه الزيادة نقلا لما كان من حسن
بلائه.

مع: فيه فضيلة الشجاعة ومتبقة لسلمة وأبي قتادة، وجوار الشاة على من فعل جميلا،

الرَّاجِلِ فجمعهما إِلَيَّ جميعاً، ثُمَّ أَرَدْتُ رِسُولَ اللَّهِ ﷺ وراه على العضباءِ راجِعِينَ إِلَى المدينة. رواه مسلم.

٣٩٩٠ - * وعن ابنِ عمرَ: أَنَّ رِسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُنْقَلُ بَعْضُ مَنْ يَبْعَثُ مِنَ السَّرَايَا لِأَنْفُسِهِمْ خَاصَّةً سِوَى قِسْمَةِ عَامَّةِ الْجَيْشِ. متفق عليه.

٣٩٩١ - * وعنه، قال: نَفَلْنَا رِسُولَ اللَّهِ ﷺ نَفْلًا سِوَى نَصِيبِنَا مِنَ الْخُمْسِ، فَاصْبَانِي شَارِفٌ، وَالشَّارِفُ: الْمِسْنُ الْكَبِيرُ. متفق عليه.

٣٩٩٢ - * وعنه، قال: ذَهَبْتُ فَرَسٌ لَهُ فَأَخْلَعَهَا الْعَدُوُّ، فَظَهَرَ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ فَرْدٌ عَلَيْهِ فِي زَمَنِ رِسُولِ اللَّهِ ﷺ. وفي رواية: أَبَقَ عَبْدٌ لَهُ، فَلَحِقَ بِالرُّومِ، فَظَهَرَ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ، فَرْدٌ عَلَيْهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ. رواه البخاري.

٣٩٩٣ - * وعن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ، قَالَ: مَشَيْتُ أَنَا وَعِثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْنَا: أُعْطِيتَ بَنِي الْمَطْلَبِ مِنْ خُمْسِ خَيْبَرَ، وَتَرَكْتَنَا، وَنَحْنُ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْكَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمَطْلَبِ وَاحِدَةٌ. قَالَ جُبَيْرٌ: وَلَمْ يُقْسَمِ النَّبِيُّ ﷺ لِبَنِي عَبْدِ شَمْسٍ وَبَنِي نُوْفَلٍ شَيْئًا رواه البخاري.

واستحقاق ذلك إذا ترتب عليه مصلحة، وجواز عقر خيل العدو في القتال، واستحباب الرجز في الحرب، وجواز القول بأنّي أنا ابن فلان بن فلان، وجواز المبارزة بغير إذن الإمام، وحجب الشهادة والحرس عليها، وإلقاء النفس في شمرات الموت.

الحديث السادس والسابع عن ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: «نفلا سوى نصيبنا» «حسن»: النفل اسم لزيادة يعطيها الإمام بعض الجيش على القدر المستحق، ومنه سميت النافلة لما راد على الفرائض من الصلوات. وقد اختلفوا في إعطاء النفل وفي أنه من أين يعطى. وتام تحرير مذكور في شرح السنة.

الحديث الثامن عن ابن عمر: قوله: «ذهب فرس له» «حسن»: فيه دليل على أن الكفار إذا أحرزوا أموال المسلمين واستولوا عليها لا يملكونها. وإذا استنقلها المسلمون من أيديهم ترد إلى ملاكهم. وهو قول الشافعي سواء كان قبل القسمة أو بعدها خلافاً لجماعة إذا كان بعد القسمة.

الحديث التاسع عن جبير: قوله: «ونحن بمنزلة واحدة» أى من كوننا بنى عبد مناف، وذلك أن هاشما والمطلب ونوفلا وعبد شمس هم أبناء عبد مناف، وجبير من بنى نوفل

الجنة فقال رسول الله ﷺ: «كلأ، والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خير من المغنم لم تصبها المقاسم؛ لتشتعل عليه ناراً». فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك أو شراكين إلى النبي ﷺ فقال: «شراك من نار أو شراكان من نار، متفق عليه.

٣٩٩٨ - * وعن عبدالله بن عمرو، قال: كان على ثقل النبي ﷺ رجل يقال له كركرة، فمات، فقال رسول الله ﷺ: «هو في النار» فذهبوا ينظرون فوجدوا عبادة قد غلها. رواه البخاري.

٣٩٩٩ - * وعن ابن عمر، قال: كنا نصيب في مغارينا العسل والعنب فنأكله ولا نرفعه. رواه البخاري.

بأنهم قطعوا على أنه الآن في الجنة يتنعم فيها، وأدخل «كلأ» ليكون ردماً لحكمهم وإثباتاً لما بعده، وينصره الرواية الأخرى، «إني رأيته في النار». وقوله: «ناراً» تمييز وفيه مبالغة أي الشملة اشتعلت وصارت بجملتها ناراً، كقوله تعالى: «واشتعل الرأس شيباً» (١).

قوله: «شراكين من نار» «نه»: الشراك أحد سيور النمل التي تكون على وجهها. «مع»: فيه تنبيه على المعاينة بهما، إما بتقسيمهما أي يغلى بهما وهما من نار أو هما سببان لعذاب النار. وفيه غلط تحريم الغلول، وأنه لا فرق بين قليله وكثيره في التحريم حتى الشراك، وأن الغلول يمنع من إطلاق اسم الشهادة على من غل، وجواز الحلف بالله من غير ضرورة، وأن من رد شيئاً مما غل يقبل منه ولا يحرق متاعه. وأما حديث: «من غل فأحرقوا متاعه» فضعيف بين ابن عبد البر وغيره، قال الطحاوي: لو كان صحيحاً لكان منسوخاً.

الحديث الرابع عشر عن عبدالله: قوله: «هل ثقل النبي ﷺ» «فا»: هو بالتحريك المتاع المحمول على الغاية، في الغريين: العرب تقول: لكل خطير نفيس ثقل.

قوله: «كركرة» «مع»: هو بفتح الكاف الأولى وكسرهما والثانية مكسورة فيهما.

قوله: «فلذهبوا» الفاء عاطفة على محذوف، أي سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ وحفظوا أن سبب ورود النار هو الغلول، مع كونه على ثقله فلذهبوا ينظرون. قوله: «عبادة» الجوهري: العباد والعبادة ضرب من الأكسية والجمع العبادات.

الحديث الخامس عشر عن عبدالله: قوله: «ولا نرفعه» يحتمل أن يريد أنا لا نرفعه إلى رسول الله ﷺ ونستأذنه في أكله؛ لما سبق منه الإذن، وأن يريد نأكله ولا ندخره.

الحديث السادس عشر عن عبدالله بن مغفل: قوله: «من شحم» «من» بيان وهو صفة

٤٠٠ - * وعن عبدالله بن مفضل قال: أصبتُ جراباً من شحم يومَ خير، فالتزمته، فقلتُ: لا أعطي اليومَ أحداً من هذا شيئاً، فالتفتُ فإذا رسولُ الله ﷺ يتبسمُ إليَّ. متفق عليه. وذكر حديث أبي هريرة «ما أعطيكُم» في باب «رزق الولاة».

الفصل الثاني

٤٠١ - * عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَنِي عَلَى الْأَنْبِيَاءِ - أَوْ قَالَ: فَضَّلَ أُمَّتِي عَلَى الْأُمَمِ - وَأَحْلَلَ لَنَا الْغَنَائِمَ» رواه الترمذي. [٤٠١]

«جرباً» أي جراباً مملوئاً من شحم. وفي قوله: «اليوم» إشعار بأنه كان مضطراً إليه وبلغ الاضطرار إلى أن يستأثر نفسه على الغير، ولم يكن ممن قيل فيه: «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» (١) ومن ثم تبسم رسول الله ﷺ.

«مع»: فيه إباحة أكل الطعام في دار الحرب. قال القاضي عياض: أجمع العلماء على جواز أكل طعام الحربيين مادام المسلمون في دار الحرب على قدر حاجتهم، ولم يشترط أحد من العلماء استئذان الإمام إلا الزهري، وجمهورهم على أنه لا يجوز أن يخرج معه منه شيئاً إلى عمارة دار الإسلام، فإن أخرجه لزمه رده إلى المغنم، وعلى أنه لا يجوز بيع شيء منه في دار الحرب، ويجوز أن يركب درابهم ويلبس ثيابهم ويستعمل سلاحهم في حال الحرب بغير الاستئذان، وشرطه الأوزاعي. وفيه دليل على جواز أكل شحوم ذبائح اليهود وإن كانت محرمة عليهم.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن أبي أمامة: قوله: «وَأَحْلَلَ لَنَا الْغَنَائِمَ» عطف «أحل» على «فضل» على طريقة الحصول والوجود، وفوض ترتيب الثاني على الأول إلى ذهن السامع، كما في قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ» (٢). وفي «لنا» على التقديرين تعظيم، أما على الأول فظاهر؛ لأن العدول إلى ضمير الجمع مشعر بالتعظيم، وعلى الثاني فإنه ﷺ أدخل نفسه الزكية في غمار الأمة، وفي هذا الحديث وفي الحديث الأول من الباب وهو قوله: «ذلك بأن الله رأى ضعفنا وعجزنا» أن الفضيلة عند الله تعالى هي إظهار الضعف والعجز بين يدي الله تعالى.

[٤٠١] صحيح انظر صحيح الترمذي ح (١٢٥٦).

(١) العشر: ٩. (٢) النمل: ١٥.

٤٤٠٢ - * وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ يومئذ - يعني يوم حنين -: «من قتل كافرًا فله سلبه». فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلاً، وأخذ أسلابهم. رواه الدارمي. [٤٠٠٢]

٤٠٠٣ - * وعن عوف بن مالك الأشجعي، وخالد بن الوليد: أن رسول الله ﷺ قضى في السلب للقاتل. ولم يُخمس السلب. رواه أبو داود. [٤٠٠٣]

٤٠٠٤ - * وعن عبد الله بن مسعود، قال: نفلني رسول الله ﷺ يوم بدر سيف أبي جهل، وكان قتله. رواه أبو داود. [٤٠٠٤]

٤٠٠٥ - * وعن حمير مولى أبي اللحم، قال: شهدتُ خيرَ مع سادتي، فكلّموا في رسول الله ﷺ، وکلّموه أني مملوك فأمرتني فقللتُ سيفًا، فإذا أنا أجره، فأمر لي بشيء من خُرثي المتاع، وعرضت عليه رقية كنتُ أرقي بها المجانين، فأمرني بطرح بعضها وحبس بعضها. رواه الترمذي، وأبو داود إلا أن روايته انتهت عند قوله: المتاع. [٤٠٠٥]

٤٠٠٦ - * وعن مُجمّع بن جارية، قال: قُسمتُ خيرٌ على أهل الحُدَيْبِيَّةِ، فقسّمها رسول الله ﷺ ثمانية عشر سهمًا، وكان الجيش ألفًا وخمسمائة، فيهم ثلثمائة فارس، فأعطى الفارس سهمين، والرجل سهمًا. رواه أبو داود. وقال: حديث ابن

الحديث الثاني والثالث عن عوف: قوله: «ولم يخمس السلب» تكلم الشيخ التوريشي فيه وأطال، وقد سبق بيان الاختلاف فيه بين العلماء في حديث أبي قتادة في الفصل الأول. الحديث الرابع عن عبد الله بن مسعود: قوله: «نفلي» يجرى بحثه في الفصل الثالث. الحديث الخامس عن حمير: قوله: «وكلّموه» عطف على قوله: «فكلّموا في» أي كلّموا في حقّي وشأني أولاً بما هو مدح لي، ثم أتبعوه بقولهم: إني مملوك. وقوله: «خُرثي المتاع» هو أثاث البيت وأسقاطه، وإنما رخصه بهذا؛ لأنه كان مملوكًا.

الحديث السادس عن مجمع: قوله: «فأعطى الفارس سهمين» قضى: هذا الحديث مشعر بأنه قسّمها ثمانية عشر سهمًا، فأعطى ستة أسهم منها الفرسان على أن يكون لكل مائة منهم سهمان، وأعطى الباقي وهو اثنا عشر سهمًا للرجالة، وهم كانوا ألفًا ومائتين، فيكون لكل مائة سهم فيكون للرجل سهم ولل فارس سهمان. وإليه ذهب أبو حنيفة ولم يساعده في ذلك أحد من مشاهير الأئمة حتى القاضي أبو يوسف ومحمد، لأنه صح عن ابن عمر أنه ﷺ أسهم للرجل

[٤٤٠٢] صحيح انظر صحيح الجامع ح (٦٤٥٢). [٤٤٠٣] صحيح انظر صحيح أبي داود ح (٢٣٦٣).

[٤٤٠٤] سنن أبي داود ح (٢٧٢٢) ٣/٧٢. [٤٤٠٥] صحيح انظر صحيح أبي داود ح (٢٣٧٠).

٤٠٠٩ - * وعن أبي الجؤيرية الجرمي، قال: أصبت بأرض الروم جزء حمراء، فيها دنائير في إمرة معاوية، وعلينا رجل من أصحاب رسول الله ﷺ من بني سليم، يقال له: معن بن يزيد، فأنيته بها، فقسّمها بين المسلمين وأعطاني منها مثلما أعطى رجلاً منهم، ثم قال: لو لا أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا نفل إلا بعد الخمس» لأعطيتك. رواه أبو داود. [٤٠٠٩]

٤٠١٠ - * وعن أبي موسى الأشعري، قال: قدمنا فوافقنا رسول الله ﷺ حين افتتح خيبر، فأسهم لنا - أو قال: فأعطانا منها - وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً، إلا لمن شهد معه، إلا أصحاب سفيتنا جعفر وأصحابه، أسهم لهم معهم. رواه أبو داود. [٤٠١٠]

ذهب أحمد وإسحاق. وقال سعيد بن المسيب والشافعي وأبو عبيد: إنما يعطى النفل من خمس الخمس سهم النبي ﷺ، وقالوا: كان النبي ﷺ يعطيهم من ذلك. وعلى هذا فقوله: «الخمس» وهم من الراوى أو زيادة من بعض الرواة، ويؤيد ذلك عدمها في حديثه الآخر المساوى له في المعنى. وقال أبو ثور: يعطى النفل من أصل الغنمة كالسلب.

الحديث التاسع عن أبي الجؤيرية: قوله: «لا نفل إلا بعد الخمس» «قضى»: ظاهر هذا الكلام يدل على أنه لم يفل أبا الجؤيرية من الدنائير التي وجدها، لسماعه قوله ﷺ: «لا نفل إلا بعد الخمس» وأنه المانع لتفيله، ووجه أن ذلك يدل على أن النفل إنما يكون من الأ خمس الأربعة التي هي للغانمين كما دل عليه الحديث السابق. ولعل التي وجدها كانت من عداد الفبي فلذلك لم يعط النفل منه.

الحديث العاشر عن أبي موسى: قوله: «حين افتتح خيبر» تنازع فيه الفعلان السابقان عليه، وأصحاب السفينة جعفر بن أبي طالب مع جماعة من أصحاب النبي ﷺ، هاجروا من مكة إلى الحبشة، فلما هاجر ﷺ من مكة إلى المدينة وقوى دينه، فلما سمع جعفر ومن معه بذلك، هاجروا من الحبشة إلى المدينة، وكانوا راكبين في سفينة، فلما وافق قلوبهم فتح خيبر، فرح رسول الله ﷺ بقلوبهم وأعطاهم من خزيمة خيبر سهامهم.

قوله: «إلا لمن شهد معه» استثناء منقطع للتأكيد و«إلا أصحاب سفيتنا» استثناء متصل من قوله: «لأحد»، و«وهم بعضهم» وزعم أن المراد بمن شهد معه أصحاب الحديبية، فيكون الاستثناء متصلاً وليس بذلك؛ لأن من حضر فتح خيبر هم أصحاب الحديبية لا غير.

«قضى»: وإنما أسهم لهم لأنهم وردوا عليه قبل حيازة الغنمة؛ ولذلك قال الشافعي في أحد

[٤٠٠٩] صحيح انظر صحيح أبي داود (٢٣٩٢).

[٤٠١٠] صحيح انظر صحيح أبي داود (٢٣٦٦).

نعم، فما حاجتك إليه يا بن أخي؟ قال: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ والذي نفسي بيده، لئن رأيته لا يُفارقُ سواي سواه حتى يموتَ الأعجل منا، فتعجبتُ لذلك، قال: وعِزَّتِي الآخرُ، فقال لي مثلها، فلم أنشَبُ أنْ نظرتُ إلى أبي جهلٍ يجولُ في النَّاسِ، فقلتُ: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه. قال: فابتدراه بسيفَيْهِما، فضرباهُ حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، فأخبراهُ، فقال: «أَيْكُما قَتَلَهُ؟» فقال كُلُّ واحدٍ منهما: أنا قتلته، فقال: «هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُما؟» فقالا: لا. فنظرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى السَّيْفَيْنِ، فقال: «كَلَامُ قَتْلِهِ». وقضى رسولُ اللَّهِ ﷺ بسلبه لمعاذِ بنِ عمرو بنِ الجموح. والرجلان: معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراء. متفق عليه.

٤٠٢٩ - * وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ بدرٍ: «مَنْ يَنْظُرْ لَنَا مَا صَنَعَ

قوله: «قضى رسولُ اللَّهِ ﷺ لمعاذِ بنِ عمرو بنِ الجموح» «مع»: اختلفوا في معناه فقال أصحابنا: اشترك هذان الرجلان في جراحته لكن معاذ بن عمرو أئمنه أولا فاستحق السلب، وإنما قال ﷺ: «كَلَامُ قَتْلِهِ» تطبيقاً لقلب الآخر من حيث أن له مشاركة في قتله، وإلا فالقتل الشرعي يتعلق به استحقاق السلب وهو الإثخان وإخراجه عن كونه ممتنعاً، وإنما وجد من معاذ ابن عمرو فلهاذا قضى له بالسلب. وإنما أخذ السيفين؛ ليستدل بهما على حقيقة كيفية قتلها، فعلم أن ابن الجموح أئمنه ثم شاركه الثاني بعد ذلك وبعد استحقاقه السلب.

وقال أصحاب مالك: إنما أعطاه لأحدهما؛ لأن الإمام مخير في السلب يفعل فيه ما شاء، وذكر في صحيح البخاري في حديث إبراهيم بن سعد أن النبي ﷺ ضربه ابن عفراء، وفي رواية أن ابنه عفراء ضربه حتى برد. وذكر غيره أن ابن مسعود هو الذي أجهز عليه وأخذ رأسه. قال الشيخ: يحمل هذا على أن الثلاثة اشتركوا في قتله، وكان الإثخان من عمرو بن الجموح، وجاء ابن مسعود بعد ذلك وفيه رمق فحز رأسه.

وفيه من الفوائد: المبادرة إلى الخيرات والغضب لله ولرسوله. وفيه أنه لا ينبغي لأحد أن يحقر أحداً لصغره ونحافة جسمه أن يصدر عنه أمر خطير. واحتج به المالكية على استحقاق القاتل السلب فهو له بلا يئنه. والجواب أنه ﷺ لعله عرف ذلك بيئته أو غيرها.

الحديث الثاني عن أنس رضي الله عنه: قوله: «ما صنع» «ما» استظهارية على معنى «ينظر»،

(١) وفي نسخة «يقربها» وكذا في العروة.

أبو جهل؟^١ فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربته ابنا عفراء حتى برد. قال: فأنخذ بلحيته، فقال: أنت أبو جهل. فقال: وهل فوق رجل قتلتموه. وفي رواية: قال: فلو غير أكابر قتلني. متفق عليه.

٤٠٣ - * وعن سعد بن أبي وقاص، قال: أعطى رسول الله ﷺ رجلاً وأنا جالس، فترك رسول الله ﷺ منهم رجلاً وهو أعجبهم إليّ، فقمت، فقلت: مالك عن فلان؟ والله إني لأراه مؤمناً، فقال رسول الله ﷺ: «أو مسلماً» ذكر سعد ثلاثاً وأجابته بمثل ذلك، ثم قال: «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يكب في النار على وجهه». متفق عليه. وفي رواية لهما: قال الزهري: فرى أن الإسلام الكلمة، والإيمان العمل الصالح.

أي من يتأمل لأجلنا ما حال أبي جهل؟. «مع»: وسبب السؤال أن يسر المسلمون بذلك. قوله: «حتى برد» مات وهنا محمول على المشاركة؛ لقوله بعده: «فأنخذ بلحيته» إلى آخره. وبديل رواية أخرى: «حتى يرك» بالياء الموحدة والكاف. «مع»: في بعض النسخ «ترك»: بالكاف، والمراد به سقط يعني أن ابني عفراء تركاه حقيراً.

قوله: «وهل فوق رجل قتلتموه؟» ولما بالغ في إهائته وتحقيره بأخذ لحيته ونيزه بأبي جهل أجابه بهذا الجواب.

قوله: «أكار» «نه»: الأكار الزراع أراد به احتقاره وانتقاصه كيف مثله يقتل مثله؟. «مع»: أشار أبو جهل به إلى ابني عفراء الذين قتلاه، وهما من الانتصار وهما أصحاب ربح ونخل. ومعناه: لو كان الذي قتلني غير أكار لكان أحب إلي وأعظم لشائي. أقول: «وغير» ينبغي أن يكون مرفوعاً بفعل يفسره ما بعده؛ لأن مدخول لو فعل كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١)، ويجوز أن يحمل لو على التمني، فلا يقتضي جواباً.

الحديث الثالث عن سعد: قوله: «أعجبهم» أي أرضاهم عندي ديناً، وقوله: «عن فلان» حال، أي مالك متجاوزاً عن فلان؟. قوله: «أو مسلماً» «أو» بمعنى «بل» كما في قوله:

أو أنت في العين أملح

أضرب عن كلامه وترقى أي أنا أعلم فوق ما تعلم.

«غب»: الإسلام في الشرع على ضربين أحدهما: دون الإيمان وهو الاعتراف باللسان وبه

(١) الإسراء: ١٠٠

أحد بني يبوثة ولم يرفع سقوفها، ولا رجل اشترى غنماً أو خلفات وهو يتنظر ولادها، فغزا، فلدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم أحبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليه، فجمع الغنائم، فجاءت -يعني النار- لتأكلها، فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غلولا، فليأبيني من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فجاءوا براسي مثل راس بقر من الذهب، فوضعتها، فجاءت النار فأكلتها. راد في رواية: فلم تحل الغنائم لأحد قبلنا، ثم أحل الله لنا الغنائم، رأى ضمعنا وعجزنا فأحلها لنا. متفق عليه.

على معنى أراد أن يغزو فقال، يدل عليه قوله: [«لايتنى»]*، والبضع يطلق على عقد النكاح والجماع معا وعلى الفرج. والخلفات جمع الخلفة بفتح الخاء وكسر اللام الحامل من النوق. وأخلفت إذا حملت، ويحتمل أن يرجع الضمير في «ولادها» إلى الطائفتين من الغنم والإبل على سبيل التغليب. قوله: «لدنا» كذا في البخاري، وفي مسلم «فادنى».

«مع»*: هكذا في جميع النسخ بهززة القطع، وكذا عن القاضي عياض أيضاً إما أن يكون تعدية «لدنا» أي قرب أدنى جيوشه إلى القرية، وإما أن يكون بمعنى حان أي حان فتحها من قولهم: أدنت الناقة إذا حان وقت نتاجها ولم يقل في غير الناقة. «نه»: «فادنى بالقرية» هكذا جاء في مسلم وهو افتعل من الدنو، وأصله ادتنى فأدغم التاء في الدال.

قوله: «فحبست» «مع»: قال القاضي عياض: اختلفا في حبس الشمس ف قيل: ردت على أدراجها. وقيل: وقفت بلا رد، وقيل: بطء تحركها، وذلك من معجزات النبوة. قال: ويقال: إن الذي حبست عليه يوشع بن نون عليه السلام. وقال القاضي: قد روى أن نبينا ﷺ حبست له الشمس مرتين: إحداهما: يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس، فردها الله تعالى عليه حتى صلى العصر. قاله الطحاوي وقال: رواه ثقات، والثانية: صبيحة الإسراء حتى انتظر العير التي أخبر بوصولها مع شروق الشمس.

قوله: «فلم تطعمها» «مع»: وكانت عادة الأنبياء صلوات الله عليهم أن يجمعوا الغنائم فتجئ ناراً من السماء فتأكلها علامة لقبولها وعدم الغلول فيها؛ وكذلك كان أمر قرايبهم، وفيه أن الأمور المهمة ينبغي أن لا تنفوس إلا إلى أولى الحزم وفراغ البال لها، ولا تنفوس إلى متعلق القلب بغيرها؛ لأن ذلك يضعف عزمه. وفيه إباحة الغنائم لهذه الأمة رادها الله شرفاً وأنها مختصة بذلك.

* كذا في «ط» و «ك».

** في «ك» «نه».

٤٠٣٤ - * وعن ابن عباس، قال: حدثني عمر، قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي ﷺ فقالوا: فلان شهيد، وفلان شهيد، حتى مروا على رجل، فقالوا: فلان شهيد. فقال رسول الله ﷺ: «كلأ إني رأيته في النار في برودة غلها - أو عباءة» ثم قال رسول الله ﷺ: «يا بن الخطاب اذهب فناد في الناس: أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ثلاثاً» قال: فخرجت فناديت: ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، ثلاثاً. رواه مسلم.

(٨) باب الجزية

الفصل الأول

٤٠٣٥ - * عن بجاللة، قال: كنت كاتباً لجزء بن معاوية حم الأحنف، فأتانا كتاب عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قبل موته بسنة: فرموا بين كل ذي محرم من المجوس. ولم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبدالرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر. رواه البخاري.

وذكر حديث بريدة: إذا أمر أميراً على جيش في «باب الكتاب إلى الكفار».

الحديث السابق عن ابن عباس: قوله: «لا يدخل الجنة إلا المؤمنون» فإن قلت: الكلام في الشهادة لافي الإيمان فما معنى هذا القول؟ قلت: هو تظليل وارد على سبيل المبالغة، يعني جزمتم أنه من الشهداء وأنه من أهل الجنة، وقد رأيته في النار فدهوا هذا الكلام؛ لأن الكلام في إيمانه رجحاً وردعاً عن الغلول. والله أعلم.

باب الجزية

«غيب»: الجزية ما يؤخذ من أهل اللمة، وتسميتها به للاحتزاء بها في حقن دمهم، قال تعالى: «حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ»^(١)

الفصل الأول

الحديث الأول عن بجاللة: قوله: «الجزء بن معاوية» هو يفتح الجيم وسكون الزاي ويعدها همزة وهو الصحيح، وكلما يرويه أهل اللغة وسيجيئ الخلاف في موضعه في أسماء الرجال. وقوله: «ذي محرم» هو مصدر ميمي ومعناه: الذي يحرم أذاك عليه. «فه»: كل مسلم على مسلم محرم يقال: إنه لمحرم منك أى يحرم أذاك عليه، يقال: مسلم محرم، وهو الذي لم يحل من نفسه شيئاً يوقع به. قيل: معناه بدلوا أهل الكتاب من المجوس و«هجر» هى بلدة من

* في «ك» صح.

(١) التوبة: ٢٩.

الفصل الثاني

٤٠٣٦ - * عن معاذ: أن رسول الله ﷺ لمّا وجهه إلى اليمن أمره أن يأخذ من كلّ حالمٍ - يعني مُحتملٍ - ديناراً أو عدله من المعافري: ثيابٌ تكونُ باليمن. رواه أبو داود. [٤٠٣٦]

٤٠٣٧ - * وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تصلحُ قِبَلَتانِ في أرضٍ واحدةٍ، وليسَ على المسلمِ جزيةٌ». رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود. [٤٠٣٧]

اليمن تلى البحرين بينهما عشرة مراحل. واستعماله على التذكير والصرف، والنسبة إليه هاجرى على خلاف القياس.

«حس»: اتفقوا على أخذ الجزية من المجوس، وذهب أكثرهم إلى أنهم ليسوا من أهل الكتاب، وإنما أخذت الجزية منهم بالسنة، كما أخذت من اليهود والنصارى بالكتاب. وقيل: هم من أهل الكتاب روى ذلك عن علي رضي الله عنه قال: كان لهم كتاب يدرسونه فأصبحوا وقد أُسْريَ على كتابهم فرفع من بين أظهرهم.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن معاذ: قوله: «أو عدله» «تو»: أى ما يساويه وهو ما يعادل الشيء من غير جنسه، فتحوا عنه للتفريق بينه وبين العدل، الذى هو المثل، ومعافر علم قبيلة من همدان، لا ينصرف في معرفة ولا نكرة؛ لأنه جاء على مثال ما لا ينصرف من الجمع، وإليهم تنسب الثياب المعافرية، تقول: ثوب معافرى فتصرفه. انتهى كلامه.

وقوله: «معافر» كذا في نسخ المصاييح، وفي كتاب أبي داود وجامع الأصول «من المعافري» كما في المتن وهذا أولى. «قضى»: فيه دليل على أن أقل الجزية دينار، ويستوى فيه الغنى والفقير؛ لأنه ﷺ عمم الحكم ولم يفصل، وهو ظاهر لمنح الشافعى، وقال أبو حنيفة: يؤخذ من الموسر أربعة دنائير، ومن المتوسط ديناران، ومن المعسر دينار. وقوله: «من كل حالمٍ» يدل من طريق المفهوم على أن الجزية لا تؤخذ إلا من الرجل البالغ.

الحديث الثاني عن ابن عباس: قوله: «لا تصلح قِبَلَتانِ» «تو»: أى لا يستقيم ديتان بأرض على سبيل المظاهرة والمعادلة، أما المسلم فليس له أن يختار الإقامة بين ظهرائى قوم كفار؛ لأن المسلم إذا صنع ذلك فقد أحل نفسه فيهم محل الذمى فينا، وليس له أن يجر إلى نفسه

[٤٠٣٦] صحيح انظر صحيح أبي داود ح (١٣٩٤) وما بعده.

[٤٠٣٧] ضعيف انظر ضعيف الجامع ح (٦٢٥٢) الإرواء (١٢٥٧).

٤٠٣٨ - * وعن أنس، قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة فآخذه، فأتوا به، فحقن له دمه، وصالحه على الجزية. رواه أبو داود. [٤٠٣٨]

٤٠٣٩ - * وعن حرب بن عبيد الله، عن جدّه، أبي أمّه، عن أبيه، أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنما العشور: على اليهود والنصارى، وليس على المسلمين عشور». رواه أحمد، وأبو داود. [٤٠٣٩]

الصغار، ويتوسم بسمه من ضرب عليه الجزية، وأتى له الصغار والدلة ﴿وَالله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ (١)، وأما الذي يخالف دين الإسلام فلا يمكن من الإقامة في بلاد الإسلام إلا ببذل الجزية، ثم لا يؤخذ له في الإشاعة بدينه، ووجه التناسب بين الفصلين أن الدمى إنما أقر على ما هو عليه ببذل الجزية، فالدمى عليه الجزية وليس على المسلم جزية، فعصار ذلك واقعاً لإحدى القبلتين واضعاً لإحدهما.

وقد ذهب بعضهم إلى أن معناه راجع إلى إجلاء اليهود والنصارى من جزيرة العرب. وليس لفظ الحديث بمنتهى عما ادعاه؛ لأن قوله: «بأرض واحدة» يقتضي معنى العموم. وذهب بعضهم إلى أن معنى «ليس على مسلم جزية»: الخراج الذي وضع على الأراضي التي تركت في أيدي أهل الذمة. والأكثرون على أن المراد منه أن من أسلم من أهل الذمة قبل أداء ما وجب عليه من الجزية فإنه لا يطالب به؛ لأنه مسلم وليس على مسلم جزية، وهذا قول شديد لو صح لنا وجه التناسب بين الفصلين.

الحديث الثالث عن أنس: قوله: «أكيدر دومة» «قضى»: هو أكيدر بن عبد الملك الكندي صاحب دومة بضم الدال، وهي قلعة من الشام قريب تبوك أضيف إليها، كما أضيف ريد إلى الخيل ومضير إلى الحمراء وكان نصرانياً؛ ولذلك صالحه على الجزية ثم إنه أسلم وحسن إسلامه وذكر قصته في أسماء الرجال. قوله: «فحقن له دمه» «المغرب»: حقن دمه إذا منعه أن يسفك. وذلك إذا حل به القتل فأنقذه.

الحديث الرابع عن حرب: قوله: «إنما العشور» «مط»: لا يؤخذ من المسلم شيء من ذلك دون عشر الصدقات، فأما اليهود والنصارى فالذي يلزمهم من العشور هو ما صالحوا عليه وقت العقد، فإن لم يصلحوا على شيء فلا عشور عليهم ولا يلزمهم شيء أكثر من الجزية، وأما عشور أراضيهم وغللتهم فلا يؤخذ منهم عند الشافعي.

وقال أبو حنيفة: إن أخذوا منا عشوراً في بلادهم إذا ترددنا إليهم في التجارات أخذنا [منهم]**

[٤٠٣٨] انظر صحيح أبي داود (٢٦٢١).

[٤٠٣٩] انظر ضعيف الجامع (٢٠٤٩).

(١) اقتباس من سورة المناقون آية: ٨

* في «ك» «خط». ** في «ط» : «مته».

٤٠٤٠ - * وعن عُبَيْدِ بْنِ حَامِرٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّا نَمُرُّ بِقَوْمٍ، فَلَاهُمْ يُضَيِّقُونَا، وَلَا هُمْ يُؤَدُّونَ مَا لَنَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ، وَلَا نَحْنُ نَأْخُذُ مِنْهُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ أَبَوْا إِلَّا أَنْ تَأْخُذُوا كُرْهًا فَخُذُوا». رواه الترمذي. [٤٠٤٠]

الفصل الثالث

٤٠٤١ - * عن أسلم، أَنَّ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ضَرَبَ الْجِزْيَةَ عَلَى أَهْلِ الذَّهَبِ أَرْبَعَةَ دنانير، وعلى أَهْلِ الْوَرَقِ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا، مَعَ ذَلِكَ أَرْزَاقَ الْمُسْلِمِينَ وَضِيافَةً ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. رواه مالك.

وإن لم يأخذوا، لم تأخذ. «حس»: إذا دخل أهل الحرب بلاد الإسلام تجارًا فإن دخلوا بغير أمان ولا رسالة غنموا، وإن دخلوا بأمان وشرط أن يؤخذ منهم عشر أو أقل أو أكثر، أخذ المشروط، فإذا طافوا في بلاد الإسلام فلا يؤخذ منهم في السنة إلا مرة.

الحديث الخامس عن عقبة: قوله: «إنا نمر بقوم» قال الترمذي في جامعه: معنى الحديث أنهم كانوا يخرجون في الغزو فيمرون بقوم، ولا يجدون من الطعام ما يشترون بالثمن، فقال ﷺ: «إن أبوا أن يبيعوا إلا أن تأخذوا كرهاً فخذوا» هكذا روى في بعض الحديث مفسراً.

أقول: قوله: «ولا يجدون من الطعام ما يشترون» هذا مفسر لقوله: «ولا هم يؤدون ما لنا عليهم من الحق» على معنى إنا إذا حملنا الاضطراب إلى الطعام الذي عندهم، وكان حقاً عليهم أن يؤثرنا علينا إما بالبيع أو بالضيافة، فإذا امتنعوا من ذلك فكيف نفعل بهم؟ فقال ﷺ: «فإن أبوا» إلى آخره. وفيه معنى النفي المصحح للاستثناء، أي إن لم يحصل الأخذ بشيء من الأشياء إلا أن تأخذوا كرهاً فخذوه.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن أسلم: قوله: «مع ذلك» يجوز أن يكون حالا من الجزية والراجع إلى صاحبها، «مع ذلك» أي مع ضربها. و«أرزاق المسلمين» فاعله، وأن يكون أرزاق المسلمين مبتدأ وهو خبره. «حس»: يجوز أن يصلح أهل الذمة على أكثر من دينار، وأن يشترط عليهم ضيافة من يمر بهم من المسلمين زيادة على أصل الجزية، وبين عدد الضيفان من الرجال والفرسان وعدد أيام الضيافة، وبين جنس أطعمتهم وعلف دوابهم، وتفاوت بين الغنى والوسط في القدر دون جنس الأطعمة.

[٤٠٤٠] انظر صحيح الترمذي ح (٢٩٩٢).

(٩) باب الصلح

الفصل الأول

٤٠٤٢ - * عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم، قالوا: خرج النبي ﷺ عامَ الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، فلما أتى ذا الحليفة، قلَّد الهدي، وأشعر، وأحرمَ منها بعُمرة، وسارَ حتى إذا كانَ بالثنية التي يُهبطُ عليهمَ منها، بركت به راحلته، فقال الناسُ: «حَلْ حَلْ»، خلَّاتِ القِصواءُ خلَّاتِ القِصواءُ! فقال النبي ﷺ: «ما خلَّاتِ القِصواءُ، وما ذاكَ لها بخلقٍ، ولكنَّ حِسبها حابسُ الفيلِ» ثم قال: «والذي نفسي بيده لا يسألونى خطيَّةً يعظمونَ فيها حرُماتِ الله إلا أعطيتهمُ إياها» ثم جَرَّها، فوثبت، فعدلَ عنهم، حتى نزلَ بأقصى الحديبية على ثَمَدٍ قليلٍ الماءِ يتبرَّضُه

باب الصلح

المغرب: الصلح خلاف الفساد، والصلح اسم بمعنى المصالحة، والتصلح خلاف المخاصمة والتخاصم.

الفصل الأول

الحديث الأول عن المسور: قوله: «عام الحديبية» «نه»: الحديبية قرية قريبة من مكة سميت ببر هناك وهي مخففة الباء، وكثير من المحدثين يشددونها، وقد روينا في صحيح البخارى أن الحديبية خارج من الحرم. «قضى»: إنما أضاف العام إليها لتزول ﷺ فيه حين صد عن البيت في بضع عشرة مائة من أصحابه، أى مع ألف ومائة. وقد سبقت الرواية عن جمع من أكابر الصحابة بأنهم كانوا ألفاً وأربعمائة رجل، وعن مجمع بن حارثة بأنهم كانوا ألفاً وخمسمائة. انتهى كلامه. وهذا التمييز من الغرائب التي لم تعهد. قوله: «حل حل» «خطي»: هى كلمة معناها الزجر، يقال لزجر البعير «حل» بالتخفيف، وحلحلت الإبل إذا قلت لها: حل حل لتتبعث.

قوله: «خلَّاتِ القِصواء» «فا»: الخلَّ للثالثة كالحران للفرس، ولا يقال الخلَّ إلا للنوق.

قوله: «ولكنَّ حِسبها حابسُ الفيلِ» أى الله تعالى. «قضى»: روى أن أبرهة لما هم بتخريب الكعبة واستباحة أهلها توجه إليها فى عسكر جم، فلما وصل إلى ذى المجاز امتنعت الفيلة من التوجه إلى مكة، وإذا صرقت عنها إلى غيرها أسرعَت مشياً. قوله: «خطيَّة» «نه»: الخطيَّة الحال والأمر والخطب. «قضى»: المعنى لايسألونى خصلته يريدون به تعظيم ما عظمه الله، وحرَمَ منك حرمته إلا أسعفتهم إليها، ووضع الماضي موضع المضارع مبالغة فى الإسعاف.

قوله: «فعدلَ عنهم» أى مال عنهم وتوجه غير جانبهم، و«التمد» الماء القليل الذى لا مادة له،

الناسُ تبرُّصاً، فلم يلبثه الناسُ حتى نزحوهُ، وشكى إلى رسول الله ﷺ العطشُ، فانتزعَ سهماً من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زالَ يجيشُ لهم بالرِّيِّ حتى صَدروا عنه، فبينما هم كذلك، إذ جاءَ بديلُ بن ورقاء الخزاعيُّ في نفرٍ من خزاعة، ثم أتاه عروة بن مسعودٍ. وساقَ الحديثَ إلى أن قال: إذ جاءَ سهيلُ بن عمرو، فقال النبي ﷺ: «اكتبْ: هذا ما قاضى عليه محمدٌ رسولُ الله». فقال سهيلٌ: والله لو كنَّا نعلمُ أنَّكَ رسولُ الله ما صددناكَ عن البيت، ولا قاتلناكَ؛ ولكن اكتبْ: محمدُ بنُ عبد الله فقال النبي ﷺ: «والله إني لرسولُ الله وإن كذبتموني. اكتبْ: محمدُ بنُ عبد الله» فقال سهيلٌ: وعلى أن لا يأتِكَ منَّا رجلٌ وإن كانَ على دينِكَ إلا ردَدته علينا. فلما فرغَ من قضيَّة الكتاب، قال رسولُ الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا، ثم احلقوا» ثم جاءَ نسوةٌ مؤمناتٌ فأنزلَ الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٌ﴾ (١) الآية، فنهأهم الله تعالى أن يردوهُنَّ، وأمرهم أن

وَأُئِمِدَ الرَّجُلُ إِذَا وَرَدَ التَّمْدُ، وَاسْمُ قَوْمٍ صَالِحٍ تُمُودٌ لِنَزُولِهِمْ عَلَى تَمْدٍ. وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أَرَادَ بِهِ مَحَلَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَارِ؛ لِيَحْسَنَ وَصْفَهُ بِقَلِيلِ الْمَاءِ.

قوله: «يتبرَّصه» نه: أي يأخذه الناس قليلاً قليلاً، والبرص الشيء القليل، وكذلك البراض بالضم، يقال: ماء برص أي قليل، والجمع براض ويروض وأبراض.
قوله: «يجيش» أي يغور ماءه ويرتفع.

قوله: «الرِّي» أي بما يرويههم أو بالماء الكثير من قولهم: عين رية أي كثيرة الماء. قوله: «ما قاضى» نه: هو فاعل من القضاء أي الفصل والحكم؛ لأنه كان بينه وبين أهل مكة، وأصل القضاء القطع والفصل يقال: قضى يقضى قضاء فهو قاض إذا حكم وفصل.

قوله: «قوموا فانحروا» شف: فيه دليل على أن من أحرم بحج أو عمرة فأحصر فإنه ينحر الهدي مكانه ويحلق، وإن لم يكن بلغ هديه الحرم. قوله: «أن يردوا الصداق» أي الصحابة صدقاتهم إلى أزواجهم من المشركين.

«حس»: اختلفوا في أن الصلح هل وقع على رد النساء أم لا؟ قيل: إنه وقع على رد الرجال والنساء جميعاً لما روينا: «أنه لا يأتِكَ منَّا أحد إلا ردَدته»، ثم صار الحكم في رد النساء مشروطاً بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ (١). وقيل: إن الصلح لم يقع على رد

(١) الممتحنة: ١٠

البحر، قال: وانفَلَتَ أَبُو جَنْدَلُ بْنُ سَهِيلٍ، فَلَحَقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْ قَرِيشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عَصَابَةٌ، فَوَ اللَّهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعَيْرٍ خَرَجَتْ لِقَرِيشٍ إِلَى الشَّامِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا، فَفَقَتْلُوهُمْ، وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ. فَارْسَلْتُ قَرِيشَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُنَاشِدُهُ اللَّهَ وَالرَّحِمَ لَمَّا أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمَنٌ، فَارْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٤٠٤٣ - * وعن البراء بن عازب، قال: صالح النبي ﷺ المشركين يومَ الحديبية على ثلاثة أشياء: على أن أتاه من المشركين رده إليهم، ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه، وعلى أن يدخلها من قاطلٍ ويقيم بها ثلاثة أيام، ولا يدخلها إلا بجلبانٍ السلاح والسيف والقوس ونحوه، فجاء أبو جندل يحجبل في قيوده، فردّه إليهم. متفق عليه.

الله والرحم» «نه»: نشدتك الله والرحم أى سألتك بالله وبالرحم، يقال: نشدتك الله وأنشدتك الله وبالله وأنشدتك الله وبالله، أى سألتك وأقسمت عليك، ونشدته نشدة ونشداناً ومناشدة، وتعديته إلى مفعولين إما لأنه بمنزلة دهوت حيث قالوا: نشدتك الله وبالله، أو لأنهم ضمنوه معنى ذكرت.

قوله: «لما أرسل» «تو»: الرواية فى «لما» بالتشديد وهى فى موضع «إلا» كقوله تعالى ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ (١) على قراءة من قرأ بالتشديد. والعرب تستعمل هذا الحرف فى كلامهم على الوجه الذى فى الحديث، إذا أرادوا المبالغة فى المطالبة، كأنهم يبتغون من المسئول، أن لا يهتهم بشيء إلا بذلك، أقول: «فمن أتاه» الفاء جواب شرط محذوف، المعنى: أى أرسلت قريش ما تطلب منه ﷺ شيئاً إلا ردهم إلى المدينة، فإذا فعلت ذلك فمن أتاه ﷺ من مكة مسلماً بعد، فهو آمن من الرد إلى قريش.

الحديث الثانى عن البراء: قوله: «لم يردوه» فإن قلت: كيف أتى بالجزء هنا بلفظ المضارع وفيما سبق بالماضى، وما فائدته عند علماء المعانى؟ قلت: اهتمامهم بشأن رد المسلمين من أتاهم من المشركين أشد وأولى من ردهم المسلمين إليهم. وقوله: «على أن أتاه» بدل من قوله: «ثلاثة أشياء» «ومن أتاهم من المسلمين» عطف على «من أتاه» على سبيل تقدير أن لا الانسحاب.

٤٠٤٤ - * وعن أنس: أن قريشاً صالحوا النبي ﷺ فاشترطوا على النبي ﷺ أن من جاءنا منكم لم نردّه عليكم، ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقالوا: يا رسول الله! أنكتب هذا؟ قال: «نعم! إنه من ذهب منا إليهم فابعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً» رواه مسلم.

٤٠٤٥ - * وعن عائشة، قالت فيبيعة النساء: إن رسول الله ﷺ كان يمتحنهن بهذه الآية: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعُكَ» ^(١) فمن أقرت بهذا الشرط منهن قال لها: «قد بايعتك» كلاماً يكلمها به، والله مامست يده يد امرأة قط في المبايعة متفق عليه.

«قض»: شرط رد المسلم إلى الكفار فاسد يفسد الصلح، إلا إذا كان بالمسلمين خور وعجز ظاهراً، ولذلك شرطه صلوات الله عليه في صلح الحديبية. و«الجلبان» جراب من الأدم يوضع فيه السلاح. وقد يقال لغاشية السرج الجلبانة. ولما كان من ديدن العرب أن لا يفارقوا السلاح في السلم والحرب شرطوا عليهم أن لا يجردوا السلاح، ولا يدخلوها كاشف السلاح متأعباً للحرب. فثاته «أبو جندل» هو ابن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود، أسلم بمكة فقيده المشركون «يحجل في قيوده» أي يمشي على وثبة كما يمشي الغراب. والحجل مشى الغراب، فرد إليهم محافظة للعهد ومراعاة للشرط.

الحديث الثالث عن أنس: قوله: «أن من جاءنا منكم» إلى آخره، حكاية ماتلفظوا به واشتروا عليه، وقوله: «إنه من ذهب منا إليهم» بيان لـ «نعم» على الاستئناف وهو جواب لإنكارهم في قولهم: «أنكتب؟» كأنهم استبعدوا هذا الشرط فرفع ﷺ شبهتهم بما ذكر.

الحديث الرابع عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «فمن أقرت بهذا الشرط» أي من قبلته وقررت والباء زائدة، و«كلاماً» حال من فاعل «قال» ويجوز أن يكون منصوباً على التمييز من «بايعتك» والعامل «قال» وأن يكون مفعولاً مطلقاً، و«يكلمها» إما مستأنفة أو صفة مؤكدة لدفع توهم التجور.

الفصل الثاني

٤٠٤٦ - * عن المسور، ومروان: أنهم اصطلمحوا على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس، وعلى أن يبتنا عيبة مكفوفة، وأنه لإسلا لاإغلا رواه أبو داود. [٤٠٤٦]

الفصل الثاني

الحديث الأول من المسور: قوله: «عشر سنين» «قضى»: إنما هادنهم عشر سنين لضعف المسلمين، وهي أقصى مدة المهادنة عند الشافعي فلا تجوز الزيادة عليها؛ لأنه تعالى أمر بقتال الكفار في عموم الأحوال والأوقات، فلا يستثنى منه إلا القدر الذي استثناء الرسول ﷺ. وقيل: لايجوز أكثر من ثلاث سنين إذ الصلح لم يبق بينهم أكثر من ذلك؛ فإن المشركين نقضوا العهد في السنة الرابعة، ففزعهم رسول الله ﷺ وكان الفتح، وضعفه ظاهر.

وقيل: لأحد لها وإن تقدير مدتها موكول إلى رأى الإمام واقتضاء الحال، هلا إذا كان ضعف، وأما في حال القوة فيجوز الصلح إلى أربعة أشهر؛ لقوله تعالى: «فسيحوا في الأرض أربعة أشهر»^(١)؛ ولأنه ﷺ جعل لصفوان بعد فتح مكة يسير أربعة أشهر، ولايجوز أن يهادنهم سنة بلا جزية وفيما بينهما خلاف، والأصح المنع. وقوله: «على أن يبتنا عيبة مكفوفة» أى صدىراً نقياً من الغل والخداع مطوياً على حسن العهد والوفاء، والعبية تستعار للقلوب والصدور من حيث أنها مستودع الأسرار، كما أن العياب مستودع الثياب والمتاع.

وقيل: معناه أن تكون ببتنا مودة ومصادقة تكون بين المتصادقين المتشاورين في الأمور، فيكون كل منا صاحب مشورة للآخر وعبية سره، ونظيره قوله ﷺ: «الانصار كرشى وعييتى». وقيل: معناه: على أن يكون ماسلف منا فى عيبة مكفوفة، أى مشروحة مشدودة لا يظهر أحد منا ولا يذكره، كما قال الله تعالى: «عفا الله عما سلف»^(٢). وقيل: على أن يكون ببتنا كتاب صلح نحفظه ولا نضيحه كالمتاع المضبوط فى العيبة المشدودة. والإسلا «السرقة الخفية، وكذلك السلة. والإغلا» الخيانة.

أقول: فإن قلت: لم خص الإسلا والإغلا بالذكر من بين سائر الفساد، وأتى بضمير الشأن؟ قلت: لما نفى الدخول التى كانت بينهم وأن لايتشروها، بل يتكافون عنها، أتبعه ما يتعلق بالظاهر، وإنما خصهما بالذكر للاستيعاب؛ ومن ثم كرر «لا» التى نفى الجنس وحذف الخبر نسياً منسياً، نحوه قوله تعالى: «لهم رزقهم فيها بكرة وعشياً»^(٣)، كأنه قيل: ينبئ أن

[٤٠٤٦] انظر صحيح أبى داود ح (٢٤٠٤).

(٣) مريم ٦٧

(٢) المائدة ٩٥

(١) التوبة: ٢

٤٠٤٧ - * وعن صفوان بن سليم، عن علة من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ، عن آبائهم، عن رسول الله ﷺ قال: «ألا من ظلم معاهداً، أو انتقصه، أو كلّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيبِ نفسٍ؛ فأنا حجيجُه يومَ القيامةِ». رواه أبو داود. [٤٠٤٧]

٤٠٤٨ - * وعن أميمة بنت رقيقة، قالت: بايعتُ النبي ﷺ في نسوة، فقال لنا: «فيما استطعنَّ وأطقتنَّ» قلتُ: «اللهُ ورسوله أرحمُ بنا منا بأنفسنا، قلت: يا رسول الله! بايعنا - تعنى صافحنّا - قال: «إنما قولي لمائة امرأةٍ كقولي لامرأةٍ واحدةٍ». رواه. [٢٠٤٨]

الفصل الثالث

٤٠٤٩ - * عن البراء بن عازب، قال: اعتمر رسول الله ﷺ في ذي القعدة فأبى

تكون بواطننا خالية عن جميع الفساد ظواهرنا كذلك. «حسن»: معناه أن بعضنا يأمن بعضاً، فلا يتعرض لدمه ولا ماله سرّاً ولا جهراً.

الحديث الثاني عن صفوان: قوله: «أو انتقصه» قال في الأساس: استنقصه وانتقصه عابه ومافيه نقيصة وانتقصه. وقوله: «فأنا حجيجُه» «نه»: أى محاجه ومقالبه بإظهار الحجيج عليه، والحجة الدليل والبرهان، يقال: حاججته حجاجاً ومحاجاً وأنا حجاج، وحجيج فعل بمعنى فاعل.

الحديث الثالث عن أميمة: قوله: «فيما استطعن» متعلق بمحذوف أى أبايمن فيما استطعن كأنه ﷺ أشفق عليهن؛ حيث قيد المبايعه فى التكاليف بالاستطاعة؛ ومن ثمة قالت: الله ورسوله أرحم بنا منا، و«بنا» متعلق بقوله: «أرحم»، وبأنفسنا تأكيد له. فإن قلت: كيف يطابق قوله: «إنما قولي لمائة امرأة» جواباً عن قولها: صافحنّا؛ لأنها طلبت المصافحة باليد فأجابها بالقول، وطلبت المصافحة لسائرهن فقال: «قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة». قلت: قوله: «إنما قولي» رد لقولها: صافحنّا بوجهين أحدهما: أن المبايعه مقصورة على القول دون الفعل. وثانيهما: أن قولى لك هذا بمحضر من النساء كقولى لسائرهن. والله أعلم

الفصل الثالث

الحديث الأول عن البراء: قوله: «يدخل مكة» مفعول به أى لم يلهو أن يدخل، فحذف

[٤٠٤٧] انظر صحيح أبى داود ح (٢٦٢٦).

[٤٠٤٨] قال الشيخ الألبانى (إيضاح فى جميع النسخ، وقد ورد فى حاشية على الأصل ومطبوعة (بترواخ) نقلاً عن المرقاة ما يلى: هنا يياض فى الأصل، والحق به فى الحاشية بخط ميرك: رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه ومالك فى «الموطأ». كلهم من حديث محمد بن المنكدر أنه سمع من أئمة الحديث؛ وقال الترمذى: حديث حسن صحيح. لا يعرف إلا من حديث ابن المنكدر.

أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة، حتى قاضاهم على أن يدخل - يعنى من العام المقبل - يقيم بها ثلاثة أيام. فلما كتبوا الكتاب، كتبوا: هذا ماقاضى عليه محمد رسول الله. قالوا: لا نُقرُّ بها، فلو نعلم أنك رسول الله ﷺ مامنعناك، ولكن أنت محمد بن عبد الله. فقال: «أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله». ثم قال لعلى بن أبي طالب: «امحُ رسول الله» قال: لا والله، لا أمحوك أبداً. فأخذ رسول الله ﷺ، وليس يُحسنُ يكتبُ، فكتب: «هذا ماقاضى عليه محمد بن عبد الله: لا يدخل مكة بالسلاح إلا السيف في القراب، وأن لا يخرج من أهلها بأحدٍ إن أراد أن يتبعه، وأن

«أن» فارتفع الفعل. قوله: «فلو نعلم» فإن قلت: «لو» تقتضى أن يليها الماضى فما فائدة العدول إلى المضارع؟ قلت: ليدل على الاستمرار أى استمرار عدم علمنا برسالتك فى سائر الأزمنة بل الماضى والمضارع، كقوله تعالى: ﴿لو يطعكم فى كثير من الأمر لمتهم﴾^(١) وقولك: لو تحسن إلى لشكرت.

قوله: «وأنا محمد بن عبد الله» هو من الأسلوب الحكيم يعنى استدراككم بقولكم: «أنت محمد بن عبد الله» بدل قولى: «محمد رسول الله» يؤذن بأن الجمع بينهما غير مستقيم، وليس كذلك لأن الرسالة تثبت بدعواها وإثبات المعجزة، وقد حصل ذلك، وهو كقول الرسل: ﴿قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾^(٢) جواباً عن قولهم: ﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا﴾^(٣).

قوله: «وليس يحسن يكتب» أى وليس يحسن أن يكتب، فحذف أن وهو جملة معترضة بين الممطوف والممطوف عليه، أى فأخذ الكتاب فكتب، كذا فى بعض رواية البخارى.

وقوله: «ليس يحسن يكتب» يحتمل وجهين أحدهما: أن يكون من باب قوله: على لاجب لا يهتدى بمناره، وقوله تعالى: ﴿ولا يؤذن لهم فيمتدرون﴾^(٤) أى لا كتابة ولا إجابة فيها ولا منار. ولا هتداء ولا إلهاد ولا اعتذار. وثانيهما: أن يكون ثمة كتابة ولكن لا إجابة فيها وعلى هذا وقع الاختلاف.

«مح»: قال القاضى عياض: احتج بهذا أناس على أن النبى ﷺ كتب ذلك بيده، وقالوا: إن الله تعالى أجرى ذلك على يده، إما بأن كتب القلم بيده وهو غير عالم بما كتب، أو بأن الله تعالى علمه ذلك حيثنذ، زيادة فى معجزته كما علمه ما لم يعلم، وجعله تالياً بعدما لم يكن يتلو بعد النبوة، وهو لا يقدح فى وصفه بالأمى. واحتجوا بأن جاء فى هذا عن الشعبي ويعض

(١) الحجرات: ٧ (٢) يس: ١٦

(٣) يس: ١٥ (٤) المرسلات: ٣٦

لا يمنع من أصحابه أحداً إن أراد أن يُقيم بها» فلما دخلها، ومضى الأجل، أتوا عليها

السلف أن النبي ﷺ لم يمت حتى كتب. قال القاضي: وإلى جواز هذا ذهب الباجي وحكاه
عن السمناني وأبي فر وغيرهما.

وذهب الأكثرون إلى المنع مطلقاً، قالوا: هذا الذي زعموا يطله وصف الله تعالى إياه بالنبي
الأمي. وقوله تعالى: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك﴾^(١)، وقوله ﷺ:
«إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب». قالوا: ومعنى «كتب» أمر بالكتابة كما يقال: رجم ماعزاً
وقطع السارق وجلد الشارب.

قال القاضي: فأجاب الأولون أن معنى الآية: لو كنت تقرأ وتكتب قبل الوحي لشك
المبطلون، وكما جاز أن يتلو جاز أن يخط، ولا يقدح هذا في كونه أمياً؛ إذ ليست المعجزة
مجرد كونه أمياً، فإن المعجزة حاصلة بكونه أولاً كذلك، ثم جاء بالقرآن ويعلم لا يعلمها
الأميون.

والجواب عن قولهم: «كتب: أي أمر» أنه عدول عن الظاهر ولا ضرورة إليه؛ لأن قوله:
«وليس يحسن يكتب فكتب» كالتصريح أنه كتب بنفسه.

أقول: ويمكن أن يقال: سبيل هذه الكتابة مع هذه الآية وكونه أمياً، سبيل قوله ﷺ: «هل
أنت إلا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت» ونحوه مع قوله تعالى: ﴿وما علمناه الشعر
وما ينبغي له﴾^(٢) قالوا: ما هو إلا كلام من جنس الكلام الذي يرمى على السليقة من غير صنعة
أو قصد إلى ذلك ولا التفات منه إليه.

«مع»: فيه دليل على استحباب الكنية في أول الوثائق وكتب الأملاك والصدقات، ونحوهما:
هذا ما اشترى فلان أو هذا ما أصدق فلان أو أوقف أو أعتق أو نحوها. وعلى أنه يكفي في
الاسم المشهور أن يضم مع الأب خلافاً لمن قال: لا بد من أربعة: أبيه وجده ونسبه.

وهذا الذي فعله على رضي الله عنه من عدم الامتثال من باب الأدب المستحب؛ لأنه لم
يفهم من الأمر التحتم؛ ولهذا لم ينكر، ولو أوجب عليه نحوه لم يجز له الترك. وفيه دلالة
على أن مكث ثلاثة أيام للمسافر في موضع ليس له حكم الإقامة.

قوله: «هذا ما قاضي» «هذا» إشارة إلى مافي الذهن، «وما قاضي» خبره مفسر له.

وقوله: «لا يدخل» إلى آخره تفسير للتفسير. وقوله: «ومضى الأجل» أي قرب انقضاء الأجل
أو شارف أصحاب النبي ﷺ عليه قضاء الأجل، كقوله تعالى: ﴿فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن

(١) المنكوت: ٤٨

(٢) يس: ٦٩.

فقالوا: قل لصاحبك: اخرج عنا، فقد مضى الاجل، فخرج النبي ﷺ. متفق عليه.

(١٠) باب إخراج اليهود من جزيرة العرب

الفصل الأول

٤٠٥ - * عن أبي هريرة، قال: بينا نحن في المسجد، خرج النبي ﷺ فقال:

بمعمروف^(١) ولا بد من هذا التأويل لئلا يلزم عدم الوفاء بالشرط، ولإظهار كراهة المشركين إقامته صلوات الله عليه فيها، قالوا ذلك قبل انقضاء الاجل.

«مع»: فيه أن للإمام أن يعقد الصلح على ما رآه مصلحة للمسلمين، وإن كان لا يظهر ذلك لبعض الناس في بادئ الرأي. وفيه احتمال المفصلة اليسيرة لدفع مضرة كبيرة، أو لجلب منفعة أعظم منها.

ومن مصالح هذا الصلح وثمراته الباهرة، وفوائده المتظاهرة فتح مكة وإسلام أهلها، ودخول الناس في دين الله أفواجا، وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين، ولانتظار أمور النبي ﷺ كما هي عندهم. ولما حصل الحديبية اختلطوا بالمسلمين وجاءوا إلى المدينة، وذهب المسلمون إلى مكة وسمعوا منهم أحواله ﷺ مفصلة، فوقفوا على معجزاته الظاهرة وأعلام نبوته المتظاهرة وحسن سيرته وجميل طريقته، وعاینوا بأنفسهم كثيراً من ذلك فمالت نفوسهم إلى الإيمان، حتى بادر خلق منهم إلى الإسلام قبل فتح مكة، وازداد الآخرون ميلا إلى الإسلام، فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم، وكانت العرب في البوادي ينتظرون إسلام أهل مكة، فلما أسلموا أسلمت العرب كلهم. والله أعلم.

باب إخراج اليهود من جزيرة العرب

«نه»: الجزيرة اسم موضع من الأرض وهو ما بين حفر أبي موسى الأشعري إلى أقصى اليمن في الطول، وما بين رمل يزين إلى منقطع السماوة في العرض. وقيل: هو من أقصى عدن إلى ريف العراق طولا، ومن جدة وساحل البحر إلى أطراف الشام عرضا. قال الأزهري: سميت جزيرة؛ لأن بحر فارس وبحر السودان أحاطا بجانبيها، وأحاط بالجانب الشمالي دجلة والفرات.

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «بيت المدراس» «قضى»: المدراس

(١) الطلاق: ٢

والنصارى من أرضِ الحجاز، وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ لما ظهرَ على أهلِ خيبرَ أرادَ أن يخرجَ اليهودَ منها، وكانت الأرضُ لما ظهرَ عليها لله ولرسولِهِ وللمسلمينَ، فسألَ اليهودُ رسولَ اللهِ ﷺ أن يتركهم على أن يكتفوا العملَ ولهم نصفُ الثمر. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «نُفِّرْكُمْ على ذلكَ ماشئنا» فأقروا حتى أجلاهم عمرُ في إمارته إلى تيماءَ وأريحاء. متفق عليه.

(١١) باب الفية

الفصل الأول

٤٠٥٥ - * عن مالك بن أوس بن الحَدَثَان، قال : قال عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه : إِنَّ اللهَ قدْ خَصَّ رسولَهُ ﷺ في هذا الفيةِ بشيءٍ لمْ يُعطِه أحدًا غيره، ثم قرأ ﴿ وما آفأه الله على رسوله منهم ﴾^(١) إلى قوله قَدِيرٌ فكانتْ هذه خالصةً لرسولِ الله ﷺ يُنفقُ على أهله نفقةَ سنتهم من هذا المالِ، ثم يأخذُ ما بقي فيجعلهُ مَجْعَلًا مالِ الله . متفق عليه .

قريتان معروفتان . وفيه دليل على أن مراد النبي ﷺ بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب إخراجهم من بعضها، وهو الحجاز خاصة؛ لأن تيماء من جزيرة العرب لكنها ليست من الحجاز .

باب الفية

المغرب: الفية مائيل من الكفار بعد ماتضع الحرب أوزارها وتصير الدار دار الإسلام، وحكمه أن يكون لكافة المسلمين ولايخمس.

الفصل الأول

الحدث الأول عن مالك : قوله: «لم يعطه أحدًا غيره» إشارة إلى قوله تعالى ﴿ فما أَوْفِئْتُمْ عليه من خيل ولا ركاب ﴾^(١)، ومعنى ﴿ما آفأه الله﴾ جعله فيئًا له خاصة، أى أتم ما أَوْفِئْتُمْ على تحصيله وتغنيمه خيلا ولا ركابًا ولا تعبت في القتال عليه، فهو له خاصة، يضعه حيث أمره الله تعالى، هذا معنى قوله: ﴿وما آفأه الله على رسوله منهم﴾^(١) والآية على هذا مجملة تبينها الآية الثانية، وهى ﴿ما آفأه الله على رسوله من أهل القرى﴾^(١).

(١) الحشر: ٧٤٦.

ويكليبي المعلم، فما يصلح؟ قال: «أما ما ذكرت من آتية أهل الكتاب، فإن وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها، وإن لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها، وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله فكل، وما صدت بكليك المعلم فذكرت اسم الله فكل، وما صدت بكليك غير معلم فادركت ذكاته فكل» متفق عليه.

٤٠٦٧ - * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رميت بسهمك فغاب عنك فادركته فكل ما لم يتن» رواه مسلم.

٤٠٦٨ - * وعنه، عن النبي ﷺ قال في الذي يدرك صيده بعد ثلاث: «فكله ما لم يتن» رواه مسلم.

٤٠٦٩ - * وعن عائشة، قالت: قالوا: يا رسول الله! إن هنا أقوامًا حديث عهدهم بشرك يأتوننا بلحمان لا ندرى أيدكرون اسم الله عليها أم لا؟ قال: «اذكروا أنتم اسم الله وكلوا» رواه البخاري.

معطوف عليه بعدها، أي: أتأذن لنا فنأكل في آتيتهم؟. وقوله: «فذكرت اسم الله» عطف على «صدت بقوسك» على تقدير القصد والإرادة أو تفسير للمجمل.

«مع»: ذكر هذا الحديث البخاري ومسلم مطلقًا، وذكره أبو داود مقيّدًا. قال: «إنا نجاور أهل الكتاب وهم يطبخون في قدرهم الخنزير ويشربون في آتيتهم الخمر. فقال ﷺ: «إن وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها» الحديث. وقد يقال: هذا الحديث مخالف لقول الفقهاء؛ فإنهم يقولون: إن استعمال أواني المشركين لكرامة فيها بعد الغسل، سواء وجد غيرها أم لا. والحديث يقتضي الكرامة مطلقًا؟. فالجواب إنما نهى عن الأكل فيها؛ لأنهم يطبخون فيها الخنزير ويشربون فيها الخمر. فالنهى بعد الغسل للاستقذار كما يكره الأكل في المحجمة المسقولة. وأما الفقهاء فمراهم مطلق آتية الكفار التي ليست مستعملة في النجاسات.

الحديث الرابع والخامس عن أبي ثعلبة: قوله: «فكله» الفاء جزء شرط محذوف، أي قال ﷺ في شأن المدرك: «إذا أدركت فكله» «وما لم يتن» روي بضم الياء وفتحها من أنتن الشيء وتنن إذا صار ذا تنن. «مع»: النهى عن أكل المتن محمول على التنزيه لا على التحريم، وكذا سائر الألعمة المتننة إلا أن يخاف منه ضرر.

الحديث السادس عن عائشة رضي الله عنها: قوله: «اذكروا أنتم اسم الله» «حسن»: احتج من لم يجعل التسمية شرطًا بهذا الحديث؛ لأنه لو كانت التسمية شرط الإباحة، لكان الشك

٤٠٧٦ - * وعن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال: «لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً» رواه مسلم.

٤٠٧٧ - * وعن جابر، قال: نهى رسول الله ﷺ عن الضرب في الوجه، وعن الوسم في الوجه. رواه مسلم.

٤٠٧٨ - * وعنه، أن النبي ﷺ مرّ عليه حمارٌ وقد وسمَ في وجهه، قال: «لعن الله الذي وسمه». رواه مسلم.

٤٠٧٩ - * وعن أنس، قال: غدوتُ إلى رسول الله ﷺ بعبد الله بن أبي طلحة ليحنكه، فوافيته في يده الميسم يسم إبل الصدقة. متفق عليه.

٤٠٨٠ - * وعن هشام بن زيد، عن أنس، قال: دخلتُ على النبي ﷺ وهو في مريدٍ فرأيته يسم شاءً حسبته قال: في آذانها. متفق عليه.

للميوان وإتلاف لنفسه وتضييع لمالته، وتقويت لذكائه إن كان مذكى، ولمنفعته إن لم يكن مذكى.

الحديث الرابع والخامس عشر عن جابر: قوله: «لعن الله الذي وسمه» يحتمل أن يكون الواسم كافراً، وأن يكون للتغليظ كما في قوله ﷺ: «لعن الله من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً». «مع»: الوسم في الوجه منهي عنه بالإجماع، فأما وسم الأدمى فحرام لكرهته؛ ولأنه لا حاجة إليه فلا يجوز تعذيبه، وأما غيره فقال جماعة من أصحابنا: يكره، وقال البغوي: لا يجوز فأشار إلى تحريمه وهو الأظهر لهذا الحديث. واللعن يقتضى التحريم، وأما غير الوجه فمستحب في نعم الزكاة والجزية وجائز في غيرها، وإذا وسم فمستحب أن يسم الغنم في آذانها، والإبل والبقر في أصول أفضلها، وفائدة الوسم [التمييز]*.

الحديث السادس عشر عن أنس رضى الله عنه: قوله: «ليحنكه» «فا»: التحنيك أن يمسح الثمر ثم يذلكه يحنكه. يقال: حنكته مخففاً ومشدداً. قوله: «الميسم» الميسم: الحديدة التي [يكوى]* بها، والوسم الكى للعلامة.

الحديث السابع عشر عن هشام: قوله: «في مريد» هو بكسر الميم وسكون الراء: الموضع الذى يحبس فيه الإبل وهو مثل الحظيرة للغنم، والمريد هنا يحتمل أن يراد به حظيرة الغنم مجازاً، ويحتمل أنه على ظاهره، وأنه أدخل الغنم في مريد الإبل ليسمها. وضمير المفعول في

* في «ط»: «يكون».

* في «ط»: «التمييز».

٤٠٩ - * وعن ابن عباس، وأبي هريرة، أن رسول الله ﷺ نهى عن شريطة الشيطان. راد ابن عيسى: هي الذبيحة يُقطع منها الجلد ولا تُفري الأوداج، ثم تُترك حتى تموت. رواه أبو داود. [٤٠٩٠]

٤٠٩١ - * وعن جابر، أن النبي ﷺ قال: «ذكاة الجنين ذكاة أمه». رواه أبو داود، والدارمي. [٤٠٩١]

٤٠٩٢ - * ورواه الترمذي، عن أبي سعيد. [٤٠٩٢]

٤٠٩٣ - * وعن أبي سعيد الخدري، قال: قلنا: يارسول الله! ننحر الناقة، ونذبح البقرة والشاة، فنجد في بطنها الجنين، أنلقيه أم ناكله؟ قال: «كلوه إن شئتم، فإن ذكاته ذكاة أمه». رواه أبو داود، وابن ماجه. [٤٠٩٣]

الحديث العاشر عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «شريطة الشيطان» «نه»: قيل: هي الذبيحة التي لا تقطع أوداجها ولا يستقصى ذبحها، وهو من شرط الحجام، وكان أهل الجاهلية يقطعون بعض حلقها ويتركونها حتى تموت، وإنما أضافها إلى الشيطان؛ لأنه هو الذى حملهم على ذلك وحسن هذا الفعل لديهم وسوله لهم. «ولا تفري الأوداج» أى لا يشقها ولا يقطعها حتى يخرج ما فيها من الدم. والأوداج ما أحاط بالعنق من العروق التي يقطعها اللابيح. واحدها ودج بالتحريك. «تو»: ويحتمل أنه من الشرط الذى هو العلامة أى شارطهم الشيطان فيها على ذلك.

الحديث الحادى عشر والثانى عشر عن أبي سعيد: قوله: «فإن ذكاته ذكاة أمه» «فا»: الذكاة هي التذكية أى ذكاة الأم كافية في حل الجنين.

«نه»: التذكية الذبح والنحر. ويروى الحديث الأول بالرفع والنصب فمن رفع جعله خبر المبتدأ الذى هو ذكاة الجنين، فتكون ذكاة الأم هي ذكاة الجنين، فلا يحتاج إلى ذبح مستأنف، ومن نصب كان التقدير: ذكاة الجنين كذكاة أمه، فلما حذف الجار نصب، أو على تقدير: يذكى تذكية مثل ذكاة أمه، فعطف المصدر وصفته وأقام المضاف إليه مقامه، فلا بد عنده من ذبح الجنين إذا خرج حياً، ومنهم من يروى بنصب الذكاتين.

[٤٠٩٠] انظر ضعيف الجامع ح (٦٠٨١).

[٤٠٩١] صحيح. انظر صحيح الجامع (٣٤٣١) والإرواه (٢٥٣٩).

[٤٠٩٢] انظر صحيح الترمذي ح (١١٩٣)

[٤٠٩٣] يصححه ما قبله.

الفصل الثالث

٤٠٩٦ - * عن عطاء بن يسار، عن رجلٍ من بني حارثة، أنه كان يرمى لقحةً بشعْبٍ من شعابٍ أحد، فرأى بها الموت، فلم يجد ما ينحرها به، فأخذَ وتَدًا فوجأ به في لَبَتِها حتى أَهْرَأَقَ دَمَها، ثم أخبرَ رسولُ الله ﷺ فأمره بِأَكْلِها. رواه أبو داود، ومالك. وفي روايته: قال: فذَكَّأها بِشِطَّاط. [٤٠٩٦]

٤٠٩٧ - * وعن جابر، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما من دابةٍ إلَّا وقد ذَكَّأها اللهُ لِبَنِي آدَمَ». رواه الدارقطني.

«خط»: وفي معناه ما جرت به عادة الناس من ذبح الحيوان عند قدوم الملوك والروساء وأوان حدوث نعمة تتجدد لهم وفي نحو ذلك من الأمور.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن عطاء: قوله: «فوجأ به» «نه» يقال: وجأته بالسكين وغيره وجأه إذا ضربته به. و«الشطاط» خشبة محددة الطرف تدخل في عروتي الحواقي، ليجمع بينهما عند حملهما على البعير والجمع أشطط.

الحديث الثاني عن جابر قوله: «قد ذكأها الله لبني آدم» كناية عن كونه تعالى أحلها لبني آدم من غير تذكيتهم. «مح» تباح ميتات البحر كلها، سواء في ذلك ما مات بنفسه أو باصطياده، وقد أجمعوا على إباحة السمك، قال أصحابنا: يحرم الضفدع لحديث النهي عن قتلها.

قالوا: وفيما سوى ذلك ثلاثة أوجه: أصحابها: يحل جميعه لمثل هذا الحديث. والثاني: لا يحل. والثالث: يحل ما له نظير مأكول في البر دون ما لا يؤكل نظيره. فعلى هذا يؤكل خيل البحر وغنمه وطيأوه دون كلبه وخنزيره وحماره. [وممن]* قال بالقول الأول أبو بكر الصديق ومعر وعثمان وابن عباس رضوان الله عليهم. وإباح مالك الضفدع والجميع. وقال أبو حنيفة: لا يحل غير السمك. فليتنا قوله تعالى: ﴿أَحْلَلْ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ﴾^(١). قال عمر رضي الله عنه: صيده ما اصطيده، وطعامه ما رمى به. قال ابن عباس: طعامه ميتة إلا ما قدرته منها.

«حسن»: ركب الحسن على سرج من جلود كلاب الماء، ولم ير الحسن بالسلاحفات بأسًا. وقال سفيان الثوري: أرجو أن لا يكون بالسرطان بأس.

[٤٠٩٦] انظر صحيح أبي داود (٢٤٤٩).

(١) المائدة: ٩٦.

* في «ط»: «ومن».

(١) باب ذكر الكلب

الفصل الأول

٤٠٩٨ - * عن ابن عمرؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ اقْتَنَى كَلْبًا إِلَّا كَلْبَ مَاشِيَةٍ أَوْ ضَارِيٍّ، نَقَصَ مِنْ عَمَلِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطَانٍ». متفق عليه.

باب ذكر الكلب

المقصود منه بيان ما يجوز اقتناؤه من الكلاب وما لا يجوز فهو كالشئمة والرديف للباب السابق.

الفصل الأول

الحديث الأول عن ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: «إلا كلب» إلا هنا بمعنى غير، صفة «الكلب» لا استثناء لتعلده. ويجوز أن تنزل النكرة منزلة المعرفة فيكون استثناء لا صفة، كانه قيل: من اقتنى الكلب. قال ابن جني في قوله: «كان مزاجها عسل وماء»: إنما جاز ذلك من حيث كان عسل وماء من جنسين، فكأنه قال: يكون مزاجها العسل والماء؛ لأن نكرة الجنس تفيد مفاد معرفته.

قوله: «أو ضاري» «أو»: الضاري من الكلاب ما يهيج بالصيد يقال ضري الكلب بالصيد ضراوة أى تعوده، ومن حق اللفظ «أو ضاريا» عطفا على المستثنى وهو كذلك في بعض الروايات. فتحقق من تلك الرواية أن ترك التنوين فيه خطأ من بعض الرواة. «مع»: في معظم النسخ: «ضاري» بالياء، وفي بعضها: «ضاريا» بالالف.

قال القاضي عياض: فأما ضاريا فهو ظاهر الإعراب، وأما ضار وضاري مجروران على العطف على «ماشية»، ويكون من إضافة الموصوف إلى صفته، كماء البارد ومسجد الجامع أو بثبوت الياء في ضاري على اللغة القليلة في إثباتها في المقصود من غير ألف ولام.

وقيل: إن لفظة «ضار» هنا صفة للرجل الصائد صاحب الكلاب المعتاد للصيد، فسماء ضاريا استعارة. واختلفوا في سبب نقصان الأجر باقتناء الكلب، فقيل: لامتناع الملائكة من دخول بيته.

وقيل: لما يلحق المارين من الأذى من ترديع* الكلب لهم وقصده إياهم. وقيل: إن ذلك عقوبة لهم لاتخاذهم ما نهى عن اتخاذه وعصيانهم في ذلك. وقيل: لما يتلى به من ولوغه في الأواني عند غفلة صاحبه ولا يفصله بالماء والتراب. «قض»: وإضافة «الكلب» إلى «ضار» على قصد الإبهام والتخصيص؛ فإن الكلب قد يكون ضاريا وقد لا يكون.

* كذا في «ك»، «ط»، «ظ» وأظنها «ترويع» وهو المناسب للسياق والمقام، ولعل ذلك تصحيف من الناسخ.

٤٠٩٩ - * وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ اتَّخَذَ كَلْبًا إِلَّا كَلْبَ مَاشِيَةٍ أَوْ صَيْدٍ أَوْ رِعٍ؛ انْتَقَصَ مِنْ أَجْرِهُ كُلِّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ». متفق عليه.

٤١٠٠ - * وعن جابر، قال: أمرنا رسول الله ﷺ بقتل الكلاب، حتى إن المرأة تقدم من البادية بكلبيها فنقتله، ثم نهى رسول الله ﷺ عن قتلها، وقال: «عليكم بالأسود البهيم ذي النعلتين فإنه شيطان». رواه مسلم.

٤١٠١ - * وعن ابن عمر، أن النبي ﷺ أمر بقتل الكلاب إلا كلب صيد أو كلب غنم أو ماشية. متفق عليه.

الحديث الثاني عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «قيراط» فإن قلت: كيف التوفيق بين هذا الحديث والحديث السابق حيث ذكر هنا قيراط وهناك قيراطان؟ قلت: ذكر الشيخ محيي الدين في جوابه أنه يحتمل أن يكونا في نوعين من الكلاب: أحدهما أشد أذى من الآخر أو يختلف باختلاف المواضع، فيكون القيراطان في المدينة خاصة؛ لزيادة فضلها، والقيراط في غيرها، أو القيراطان في المداين والقرى والقيراط في البوادي، أو يكون ذلك في زمانين فذكر القيراط أولاً ثم زاد التخليط، فذكر القيراطين، والقيراط هنا مقدار معلوم عند الله، والمراد نقص جزء من أجزاء عمله.

الحديث الثالث والرابع عن جابر قوله: «حتى إن المرأة» حتى هي الداخلة على الجملة وهي غاية لمحطوف. أي أمرنا بقتل الكلاب فقتلنا، ولم ندع في المدينة كلباً إلا قتلناه. حتى لنقتل كلب المرأة من أهل البادية، كذا نص في حديث آخر.

«حس»: قيل: في تخصيص كلاب المدينة بالقتل من حيث إن المدينة كانت مهبط الملائكة بالوحى وهم لا يدخلون بيتاً فيه كلب. وجعل الأسود البهيم شيطاناً لخبثها؛ فإنه أضر الكلاب وأعقرها والكلب* أسرع إليه منه إلى جميعها، وهي مع هذا أقلها نفعاً وأسوأها حراسة؛ لبعدها من الصيد وأكثرها نعاساً. وحكى عن أحمد وإسحاق أنهما قالوا: لا يحل صيد الكلب الأسود.

«مح»: أجمعوا على قتل العقور، واختلفوا فيما لا ضرر فيه، قال إمام الحرمين: أمر النبي ﷺ أولاً بقتلها كلها ثم نسخ ذلك إلا الأسود البهيم، ثم استقر الشرع على النهى عن قتل جميع الكلاب التي لا ضرر فيها حتى الأسود البهيم.

الحديث الخامس عن ابن عمر: قوله: «أو كلب غنم أو ماشية» أو الأولى للتنوع والثانية للتديد وشك الراوى.

* في اللسان الكلب: جنون الكلاب. فإذا عقر الكلب المصاب به إنساناً أصابه داء الكلب فيموت هواء الكلب..

٤١٠٥ - * وعن ابن عباس، قال: نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي نابٍ من السباع، وكل ذي مخلبٍ من الطير. رواه مسلم.

٤١٠٦ - * وعن أبي ثعلبة، قال: حرم رسول الله ﷺ لحوم الحمير الاهلية. متفق عليه.

٤١٠٧ - * وعن جابر، أن رسول الله ﷺ نهى يومَ خيبرَ عن لحوم الحمير الاهلية، وأذنَ في لحوم الخيل. متفق عليه.

٤١٠٨ - * وعن أبي قتادة، أنه رأى حمارة وحشياً فعقره، فقال النبي ﷺ: «هل معكم من لحمه شيء؟» قال: «نعمنا رجله»، فأخذها فأكَلها. متفق عليه.

باب ما يحل أكله وما يحرم

الفصل الأول

الحديث الأول والثاني قد مر تفسيرهما في الفصل الثاني من باب الصيد والذباح في حديث العرياض.

الحديث الثالث عن أبي ثعلبة : قوله: «لحوم الحمير الاهلية» «حسن»: كل حيوان لا يحل أكله فلا يحل شرب لبنه إلا الأدييات، وكل طير لا يحل لحمه لا يحل بيضه.

الحديث الرابع عن جابر : قوله: «وأذن في لحوم الخيل» «حسن»: اختلفوا في إباحة لحوم الخيل فذهب جماعة إلى إباحته ، روى ذلك عن شريح والحسن وعطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير وحماة بن أبي سليمان، وبه قال الشافعي وأحمد وإسحاق. وذهب جماعة إلى تحريمه روى ذلك عن ابن عباس وهو قول أصحاب أبي حنيفة.

«مع»: واحتج أبو حنيفة بقوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾^(١) ولم يذكر الأكل. وذكر الأكل من الانعام في الآية التي قبلها ، ويحدث خالد بن الوليد نهى رسول الله ﷺ عن لحوم الخيل والبغال والحمير. رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه.

وأجاب الأصحاب عن الآية بأن ذكر الركوب والزينة لا يدل على أن منفعتها مقصورة عليهما، وإنما خصتا بالذكر لأنهما معظم المقصود من الخيل كقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ﴾^(٢)، فذكر اللحم لأنه معظم المقصود. وقد أجمعوا على تحريم شحمه ودمه وسائر أجزائه؛ ولهذا سكنت عن ذكر حمل الأثقال على الخيل مع قوله تعالى في الانعام: ﴿وَتَحْمِلِ أَثْقَالَكُمْ﴾^(٣) ولم يلزم من هذا منع حمل الأثقال على الخيل. وعن الحديث

(٢) المائدة : ٣.

(١) النحل : ٧، ٨.

٤١٠٩ - * وعن أنس، قال: أَنْفَجْنَا أَرْنبًا بِمَرِّ الظَّهْرَانِ، فَأَخَذْتُهَا فَأَتَيْتُ بِهَا أَبَا طَلْحَةَ فَلَذَّبَهَا وَبَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِوَرَكَيْهَا وَفَخَذِيهَا فَقَبِلَهُ. متفق عليه.

٤١١٠ - * وعن ابنِ عمر، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الضَّبُّ لَسْتُ أَكَلَهُ وَلَا أَحَرَّمُهُ». متفق عليه.

٤١١١ - * وعن ابنِ عباس: أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَيْمُونَةَ وَهِيَ خَالَتُهُ وَخَالَتُهُ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَوَجَدَ عِنْدَهَا ضَبًّا مَحْنُودًا، فَقَدِمَتْ الضَّبُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَنِ الضَّبِّ. فقال خالد: أَحَرَامُ الضَّبِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «لَا، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ قَوْمِي، فَأَجِدُنِي أَعَافَهُ» قال خالد: فَأَجْتَرَّتْهُ فَأَكَلَتْهُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَيْهِ. متفق عليه.

بأن علماء الحديث اتفقوا على أنه ضعيف؛ قال أبو داود: هذا الحديث منسوخ. وقال النسائي: حديث الإباحة أصح، ويشبه إن كان هذا صحيحاً أن يكون منسوخاً. واحتج الجمهور بأحاديث الإباحة التي ذكرها مسلم وغيره، وهي صحيحة ولم يثبت في النهي حديث صحيح. والله أعلم.

الحديث الخامس والسادس عن أنس رضي الله عنه : قوله: «أَنْفَجْنَا» «حسن»: أَنْفَجْتُ الْأَرْنبَ مِنْ جَحْرِهِ فَضَجَّ أَيِ اثْرِهِ فَتَارَ، وَأَنْفَجَتِ الْأَرْنبُ وَثِبَتْ، وَاخْتَلَفُوا فِي الْأَرْنبِ، فَلَذَّبَ أَكْثَرَهُمْ إِلَى إِبَاحَتِهِ، وَكَرِهَهُ جَمَاعَةٌ وَقَالُوا: إِنِّهَا مَدْنَى * «مع»: «مر الظهران» بفتح الميم والظاء موضع قريب من مكة. قوله: «فَقَبِلَهُ» الضمير راجع إلى المبعوث أو بمعنى اسم الإشارة كما في قول رؤبة شعراً:

فيه سواد وبياض وبلق كانه في الجلد توليع البهق

الحديث السابع عن ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: «لَسْتُ أَكَلَهُ» فيه بيان إظهار الكراهة مما يجد في نفسه؛ لقوله في حديث آخر: «فَأَجِدُنِي أَعَافَهُ».

الحديث الثامن عن ابن عباس رضي الله عنهما : قوله: «مَحْنُودًا» أي مشويًا، وقيل: المشوي على الرضف وهي الحجارة المحمأة. «مع»: أجمعوا على أن الضب حلال ليس بمكروه إلا ما حكى عن أصحاب أبي حنيفة من كراهته. قال القاضى عن قوم: هو حرام، وما أظنه يصح عن أحد.

* أي فيها سواد وحمرة ولعله سبب الكراهة عند هؤلاء.

٤١١٢ - * وعن أبي موسى، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يأكلُ لحمَ الدَّجاجِ. متفق عليه.

٤١١٣ - * وعن ابنِ أبي أوفى، قال: غزونا معَ رسولِ الله ﷺ سبعَ عَزَواتٍ كُنَّا نأكلُ معه الجَرَادَ. متفق عليه

٤١١٤ - * وعن جابرٍ، قال: غزوتُ جيشَ الخَبَطِ، وأمرَ علينا أبو عبيدةَ فجعنا جوعاً شديداً، فالتقى البحرُ حوتاً ميتاً لم نَرَ مثله يُقالُ له: العنبرُ، فاكلنا منه نصفَ شهرٍ، فأخذَ أبو عبيدةَ عظماً منَ عظامِهِ فمرَّ الرَّاكِبُ تحته، فلما قَدِمْنَا ذكرنا ذلكَ للنبيِّ ﷺ

الحديث التاسع والعاشر عن ابن أبي أوفى: قوله: «ناكل معه الجراد» «تو»: رواية من روى «معه» تأول على أنهم أكلوه وهم معه فلم ينكر عليهم. وهذا يدل على إباحته ولو صرفه مؤول إلى الأكل فإنه محتمل، وإنما رجحنا التأويل الأول لخلو أكثر الروايات من هذه الزيادة. ثم لما ورد في الحديث أن النبي ﷺ لم يكن يأكل الجراد، وذكر ذلك من حديث سلمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ - وقد سئل عن الجراد - فقال: «أكثر جنود الله، لا أكله ولا أحرمه».

فإن قيل: كيف يترك الحديث الصحيح بمثل هذا الحديث؟ قلنا: لم نتركه وإنما أولناه لما فيه من الاحتمال؛ كي يوافق سائر الروايات، ولا نرد الحديث الذي أوردناه وهو من الواضع الجلي بما فيه خفاء والتباس.

أقول: التأويل الأول وهو قوله: «أكلوه وهم معه» بعيد لأن المعية تقتضي المشاركة في الفعل، كما في قوله: «غزونا مع رسول الله ﷺ»، وقد صرح به صاحب الكشاف وقد مر بيانه. والرواية الخالية عنه مطلقة لتحتمل الأمرين، وهذه مقيدة، فالمطلق يحمل على المقيد. وقوله في الحديث الآخر: «وقد سئل عن الجراد» الحديث ضعفه محيي السنة. ورواية الراوي أن النبي ﷺ لم يكن يأكل الجراد، إخبار عن عدم الأكل بأنه لم يكن معه فلم يشاهد، فبقى الكلام في لفظة «معه».

الحديث الحادى عشر عن جابر: قوله: «جيش الخبط» منصوب على انتزاع الخافض أى غزوت مصاحباً لجيش الخبط، والخبط - بتحريك الباء - ورق الشجر يضرب بالعصا فيسقط، وهو فعل بمعنى مفعول وبالسكون المصدر، وهو الهش بضرب العصا، وسموا بجيش الخبط؛ لأنهم أكلوه من الجوع حتى قرحت أشداقهم. وقوله: «فقال: كلوا» كأنه ﷺ امتحضر تلك

ﷺ فقال: «كُلُوا رِزْقًا أَخْرَجَهُ اللَّهُ إِلَيْكُمْ، وَأَطِيعُوا إِنْ كَانَ مَعَكُمْ» قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله. متفق عليه.

٤١١٥ - * وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا وَقَعَ الذِّبَابُ فِي إِنَاءٍ أَحَدِكُمْ فَلْيُفِمْسَهُ كُلَّهُ ثُمَّ لْيَطْرَحْهُ؛ فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ شِفَاءً وَفِي الْآخَرِ دَاءٌ». رواه البخاري.

الحالة واستحمدهم عليها فأمرهم بالأكل؛ ومن ثم صرح بقوله: «رِزْقًا» ووصفه بقوله: «أَخْرَجَهُ اللَّهُ» وعقبه بقوله: «أَطِيعُوا».

«مع»: وإنما طلب ﷺ منه تطييباً لقلوبهم ومبالغة في حله؛ وليعلم أنه لا شك في إباحته، وقصد به البركة في كونه طعمة من الله تعالى خارقة للعادة أكرمهم الله تعالى بها. وفيه استحباب للمفتي أن يتماطى بعض المباحات التي يشك فيها المستفتي، إذا لم يكن فيه مشقة على المفتي. وكان فيه طمأنينة للمستفتي.

قوله: «فأكلنا منه نصف شهر» وفي رواية أخرى: «قمنا عليه شهراً» وفي أخرى: «فأكل منه الجيش ثمانين عشرة يوماً». ووجه الجمع أن من روى شهراً هو الأصل لأن معه زيادة علم، ومن روى دونه لم ينف الزيادة ولو نفاها لقدم المثبت. وقد ثبت عند الأصوليين أن مفهوم العدد لا حكم له فلا يلزم نفي الزيادة لو لم يعارضه إثبات الزيادة، فكيف وقد عارضه؟ فوجب قبول الزيادة، وقد مر ما يتعلق بأحكام هذا الحديث في الفصل الثالث من كتاب الصيد والذباح.

الحديث الثاني عشر عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «إِذَا وَقَعَ الذِّبَابُ قَوْ»: قد وجدنا لكون أحد جناحي الذباب داءً والآخر دواءً فيما أقامه الله تعالى لنا من عجائب خلقه وبدائع فطرته شواهدً ونظائر، فمنها النحلة يخرج من بطنها الشراب النافع وينبت من إبرتها السم النافع، والعقرب تهيج الداء بإبرتها، ويتلوى من ذلك بجَرْمِها. وأما إتقاؤه بالجناح الذي فيه الداء على ما ورد في غير هذه الرواية، وهو في الحسان من هذا الباب؛ فإن الله تعالى ألهم الحيوان بطبعه الذي جبله عليه ما هو أهدب من ذلك، فليُنظر المتعجب من ذلك إلى النملة التي هي أصغر وأحق من الذباب كيف تسعى في جمع القوت؟ وكيف تصون الحب عن الندى باتخاذ الرعية* على نشز* من الأرض، ثم لينظر إلى تجفيفها الحب في الشمس إذا أثر فيه الندى، ثم إنها تقطع الحب؛ لئلا ينبت وتترك الكزيرة بحالها؛ لأنها لا تنبت وهي صحيحة، فتبارك الله رب العالمين. وأي حاجة بنا إلى الاستشهاد، على ما أخبرته الصادق المصدوق ﷺ، لولا الحذر من اضطراب الطبائع والشفقة على عقائد ذوى الأوضاع الواهية، وإلى الله اللجأ ومنه العصمة.

* الرعية، والنشز من الأرض : ما علا منها وارتفع.

٤١١٨ - * وعن أبي السائب قال: دخلنا على أبي سعيد الخدري، فبينما نحن جلوس إذا سمعنا تحت سريره حركة فنظرنا، فإذا فيه حية، فوثبت لأتلقاها وأبو سعيد يصلي، فأشار إليّ أن اجلس، فجلست، فلما انصرف، أشار إلى بيت في الدار، فقال: أترى هذا البيت؟ فقلت: نعم. فقال: كان فيه فتى منّا حديث عهد بعُرس، قال: فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق، فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار، فيرجع إلى أهله، فاستأذنه يوماً، فقال له رسول الله ﷺ: «خذ عليك سلاحك فإنني أخشى عليك قريظة»، فأخذ الرجل سلاحه، ثم رجع، فإذا امرأته بين البابين قائمة، فأهوى إليها بالرمح ليطمعنها به، وأصابته غيرة. فقالت له: اكفّ عليك رمحك، وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني! فدخل، فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش، فأهوى إليها بالرمح، فانظمتها به، ثم خرج فركزه في

قال العلماء: وفي الحيات نوع يسمى الناطر، إذا وقع نظره على عين إنسان مات من ساعته. قوله: «وهن العوامر» «نه»: العوامر الحيات التي تكون في البيوت واحدها عامرة، وقيل: سميت عوامر لطول عمرها. «تو»: عمار البيوت وعوامرها سكانها من الجن.

الحديث الخامس عشر عن أبي السائب: قوله: «حديث عهد» يجوز بالرفع على أنه صفة تعد صفة «الفتى»، وبالنصب على أنه حال من الضمير في «منا». قوله: «بأنصاف النهار» «مع»: هو بفتح الهمزة أى متصفه، وكأنه وقت آخر النصف الأول وأول النصف الثاني. فجمعه كما قالوا: ظهور الترسين. ورجوعه إلى أهله ليطالع حالهم ويقضى حاجاتهم ويؤنس امرأته، فإنها كانت هروسة.

أقول: يحتمل أن يراد بالنهار الجنس وأن يكون عكس قوله: «كلوا في بعض بطنكم تعفوا» أى بأنصاف النهار فأتى بالإفراد اعتماداً على القرينة. قوله: «خذ عليك سلاحك» أى احمل عليك السلاح أخذك حذرك من قريظة. وقوله: «وأصابته غيرة» حال من المستكن في «أهوى». وقوله: «فانظمتها» «نه»: أى غرر الرمح في الحية حتى طواها فيه، فشبهه بالسلك الذي يدخل في المخرو. وفي الأساس: رمى صيداً فانظمه بسهم، وطمعته فانظمه ساقيه أو جنبيه. وقوله: «عليه» حال أى اضطربت الحية صائلة على الفتى. وقوله: «فقال: استغفروا» يريد أن الذي يظفحه هو استغفاركم لا الدعاء بالإحياء لأنه مضي لسبيله.

الدار، فاضطربت عليه، فما يُدري أيهما كانَ أسرعَ موتًا : الحيةُ أم الفتى؟ قال : فجننا رسولَ الله ﷺ وذكرنا ذلك له ، وقلنا : ادعُ اللهَ يُحييه لنا . فقال : «استغفروا لصاحبكم» ثم قال : «إنَّ لهذه البيوتِ عوامرَ ، فإذا رأيتم منها شيئًا فخرجوا عليها ثلاثًا ، فإنْ ذهبَ وإلا فاقتلوه فإنه كافرٌ» وقال لهم : «اذهبوا فادفنوا صاحبكم» . وفي رواية قال : «إنَّ بالمدينة جنتًا قد أسلموا ، فإذا رأيتم منهم شيئًا فاذنوه ثلاثة أيام ، فإنْ بدا لكم بعدَ ذلك فاقتلوه ، فإنما هو شيطانٌ» . رواه مسلم

٤١١٩ - * وعن أمِّ شريك : أنَّ رسولَ الله ﷺ أمرَ بقتل الوزغ وقال : «كان ينفخ على إبراهيم» . متفق عليه .

٤١٢٠ - * وعن سعد بن أبي وقاص ، أنَّ رسولَ الله ﷺ أمرَ بقتل الوزغ وسماه فويسقًا . رواه مسلم .

قوله : «فخرجوا عليها» «نه» : أى قولوا لها : أنت فى حرج أى ضيق إن عدت إلينا فلا تلمينا أن نضيق عليك بالتبع والطرده والقتل . «مع» : قال القاضى عياض : روى ابن الحبيب عن النبى ﷺ : «أنه يقول : أتشدكم بالعهد الذى أخذ عليكم سليمان بن داود أن لا تؤذونا ولا تظهروا لنا» ونحوه عن مالك . قوله : «فاذنوه» أى فاعلموا وأنذروا . «مع» : قال العلماء : إذا لم يذهب بالإنذار علمتم أنه ليس من عوامر البيوت ، ولا ممن أسلم من الجن بل هو شيطان فلا حرمة له عليكم فاقتلوه ، ولن يجعل الله له سبيلا للإضرار بكم .

الحديث السادس عشر عن أم شريك : قوله : «الوزغ» «نه» : الوزغ جمع وزغة بالتحريك وهى التى يقال لها : سام أبرص وجمعها أوزاغ ووزغات . «قصر» : «وكان ينفخ على إبراهيم» بيان لحب هذا النوع وفساده ، وأنه بلغ فى ذلك مبلغًا استعمله الشيطان ، فحمله على أن ينفخ فى النار التى ألقي فيها خليل الله صلوات الله عليه ، وسعى فى اشتعالها ، وهو فى الجملة من ذوات السموم المؤذية .

الحديث السابع عشر عن سعد : قوله : «فويسقًا» «مع» : تسميته فويسقًا ؛ لأنه نظير للفواسق الخمسة التى تقتل فى الحل والحرم ، وأصل الفسق الخروج عن الطريق المستقيم ، وهذه المذكورات خرجن عن خلق معظم الحشرات بزيادة الضرر والأذى . انتهى كلامه . وأما تصغيره فالتعظيم كما فى قوله : «دويهة» على ما ذهب إليه الشيخ التوريشتى ، أو للتحقير لإلحاقه ﷺ بالفواسق الخمس .

٤١٢١ - * وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَتَلَ وَرَعًا فِي أَوَّلِ ضَرِيَةٍ كَتَبَتْ لَهُ مِائَةً حَسَنَةً، وَفِي الثَّانِيَةِ دُونَ ذَلِكَ، وَفِي الثَّالِثَةِ دُونَ ذَلِكَ». رواه مسلم.

٤١٢٢ - * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «قَرَصَتْ نَمْلَةً نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَأَمَرَ بِقَرِيَةِ النَّمْلِ فَأَحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: أَنْ قَرَصْتَكَ نَمْلَةً أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ تَسْبِغُ؟». متفق عليه.

الفصل الثاني

٤١٢٣ - * عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا وَقَعَتِ الْفَأْرَةُ فِي السَّمَنِ

الحديث الثامن عشر عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «فى أول ضربة» «مع»: سبب تكثير الثواب فى قتله أول ضربة، الحث على المبادأة بقتله، والاعتناء به والحرص عليه؛ فإنه لو فاته ربما انفلت وفات قتله. والمقصود انتهاز الفرصة بالظفر على قتله.

الحديث التاسع عشر عن أبي هريرة: قوله: «قرصت» القرص الأخذ بأطراف الأصابع وهنا يراد به العض. وقوله: «أن قرصتك» الجملة هى الموحى بها أى أوحى الله تعالى بهذا الكلام، يعنى: لأن قرصتك نملة أحرقتك أمة مسيحة لله تعالى وإنما وضع المضارع موضع المبيعة، ليدل على الاستمرار ومزيد الإنكار كقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ﴾^(١) الكشف: فيه الدلالة على حدوث تسبيح من الجبال شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال، وكان السامع يحاضر تلك الحال ويسمعها، والظاهر أن يقال: «فأحرقت» إلا أنه أراد بقرية النمل مسكنها ومتزلها. سمي قرية لاجتماعها فيها، ومنه القرية المتعارفة لاجتماع الناس فيها. قوله: «فأمر بقرية النمل» أى بإحراق قرية النمل، ويفهم من قوله: «أحرقت أمة» جواز إحراق تلك النملة الفارصة.

«مع»: هذا محمول على أن شرع ذلك النبي كان فيه جواز قتل النمل والإحراق بالنار، ولم يعتب عليه فى أصل القتل والإحراق، بل فى الزيادة على نملة واحدة. وأما فى شرعنا فلا يجوز إحراق الحيوان بالنار إلا بالاعتصاف، وسواء فى منع الإحراق بالنار القتل وغيره للحديث المشهور: «لا يعذب بالنار إلا الله تعالى» وأما قتل النمل فلمنعنا أنه لا يجوز؛ فإن النبي ﷺ نهى عن قتل أربع من الدواب وسيجيء فى الفصل الثانى.

الفصل الثانى

الحديث الأول عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «فلا تقرىوه» مضى بيانه فى الحديث الثالث عشر من الفصل الأول.

(١) ص: ١٠٨.

* (٣/٢٤٩).

٤١٦٢ - * وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فُلْيَاكُلَ يَمِينَهُ، وَإِذَا شَرَبَ فُلْيَشْرَبَ يَمِينَهُ». رواه مسلم.

٤١٦٣ - * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدُكُمْ بِشِمَالَهُ وَلَا يَشْرَبَنَّ بِهَا؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِهَا». رواه مسلم.

٤١٦٤ - * وعن كعب بن مالك، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْكُلُ بِثَلَاثَةِ أَصَابِعَ، وَيَلْعَقُ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يَمْسَحَهَا. رواه مسلم.

٤١٦٥ - * وعن جابر: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بَلْعَقِ الْأَصَابِعِ وَالصَّحْفَةَ وَقَالَ: «إِنْ كُمْ لَا تَدْرُونَ فِي آيَةِ الْبَرَكَةِ؟». رواه مسلم.

لاحظ لكم ولا فرصة لكم الليلة من أهل هذا البيت؛ فإنهم قد أحرروا عنكم طعامهم وأنفسهم. وتحقيق ذلك أن انتهاء الشيطان فرصة من الإنسان، إنما تكون حال الغفلة ونسيان الذكر، فإذا كان الرجل متيقظًا محتاطًا متذكرًا لله في جملة حالاته، لم يتمكن الشيطان من إغوائه وتسويله وأيسر عنه بالكلية.

«مظ.» و«شف»: ويجوز أن يكون المخاطب به الرجل وأهل بيته على سبيل الدعاء عليهم من الشيطان. أقول: وهو بعيد لقوله: «قال الشيطان: أدرستم المبيت» والمخاطبون أحواله. وأما تخصيص المبيت والعشاء، فلغالب الأحوال؛ لأن ذلك صادق في عموم الأحوال.

الحديث الرابع والخامس عن ابن عمر: قوله: «فإن الشيطان يأكل بشماله» «تو»: المعنى أنه يحمل أوليائه من الإنس على ذلك الصنيع ليضاد به عباد الله الصالحين، ثم إن من حق نعمة الله والقيام بشكره أن تكرم ولا يستهان بها، ومن حق الكرامة أن تتناول باليمين ويميز بها بين ما كان من النعمة وبين ما كان من الأذى. أقول: تحريره أن يقال: لا يأكلن أحدكم بشماله ولا يشربن بها؛ فإنكم إن فعلتم ذلك كنتم أولياء الشيطان؛ فإن الشيطان يحمل أوليائه من الإنس على ذلك. «مع»: فيه أنه ينهى اجتناب الأفعال التي تشبه أفعال الشياطين وأن للشيطان يدين. أقول: حمل الحديث على ظاهره كما سبق في الحديث السابق.

الحديث السادس عن كعب: قوله: «ويلعق يده»: من سنن الأكل لعق اليد محافظة على بركة الطعام وتنظيفًا لها. والأكل [بثلاثة]* أصابع ولا يضم إليها الرابعة والخامسة إلا لعذر. الحديث السابع عن جابر: قوله: «في آيَةِ المضاف إليه محذوف أي آية أكلة أو طعمة.

* في «ط» و«ك»: «ثلاث».

حتى قبضه الله . قيل: كيف كنتم تأكلون الشعيرَ غيرَ منخول؟ قال: كنّا نطحنه وننفضه، فيطير ما طار، وما بقي ثريناه، فأكلناه. رواه البخاري.

٤١٧٢ - * وعن أبي هريرة، قال: ما عابَ النبي ﷺ طعاماً قط، إن اشتهاهُ أكله وإن كرهه تركه. متفق عليه.

٤١٧٣ - * وعنه، أن رجلاً كان يأكل أكلاً كثيراً، فأسلم، فكان يأكل قليلاً، فذكرَ ذلكَ للنبي ﷺ، فقال: «إِنَّ المؤمنَ يأكل في مَعَى واحد، والكافرَ يأكل في سبعة أمعاء» رواه البخاري.

الحديث الرابع عشر عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «ما عاب» «مع»: هو أن يقول هذا مالم، قليل الملع، حامض، رقيق، غليظ، غير ناضج ونحو ذلك. وأما قوله للنسب قال لا، ولكن لم يكن بأرض قومي فأجندني أمافه» فيبان لكراهته لا إظهار عيبه.

الحديث الخامس عشر عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «في سبعة أمعاء» عداه ب «في» على معنى أوقع الأكل فيها وجعلها أمكنة للأكل؛ ليشعر بامتلائها كلها حتى لم يبق للنفس فيه مجال، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾^(١) أى ملء بطونهم. وتخصيص السبعة للمبالغة والتكثير كما في قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾^(٢).

«قضى»: أراد به أن المؤمن يقل حرصه وشرهه على الطعام ويبارك له في مأكله ومشربه فيشبع من قليل، والكافر يكون كثير الحرص شديد الشره لا مطمع لبصره إلا إلى المطاعم والمشارب كالانعام، فمثل ما بينهما من التفاوت في الشره بما بين من يأكل في مَعَى واحد ومن يأكل في سبعة أمعاء وهذا باعتبار الأهم الأغلب.

«مع»: فيه وجوه: أحدها: قيل: إنه في رجل بعينه فقيل له على جهة التمثيل. وثانيها: أن المؤمن يسمى الله تعالى عند طعامه فلا يشركه فيه الشيطان، والكافر لا يسميه فيشاركه الشيطان. وثالثها: أن المؤمن يقصد في أكله فيشبعه امتلاء بعض أمعائه، والكافر لشره وحرصه على الطعام لا يكفيه إلا امتلاء كل الأمعاء. ورابعها: يحتمل أن يكون هذا في بعض المؤمنين وبعض الكفار. وخامسها: أن يراد بالسبعة صفات الحرص والشره، وطول الأمل والطمع، وسوء الطبع والحسد والسمن. وسادسها: أن يراد بالمؤمن تام الإيمان المعرض عن الشهوات المقتصر على سد غلته. وسابعها المختار: وهو أن بعض المؤمنين يأكل في مَعَى واحد، وأن أكثر الكفار يأكلون في سبعة، ولا يلزم أن كل واحد من السبعة مثل مَعَى المؤمن.

(١) النساء: ١٠. (٢) لقمان: ٢٧.

٤١٧٤ - * و ٤١٧٥ * وروى مسلم عن أبي موسى، وابن عمر المسند منه فقط.

٤١٧٦ - * وفي أخرى له عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ ضافه ضيف وهو كافر، فأمر رسول الله ﷺ بشاة فحلبت، فشرب حلابها، ثم أخرى فشربه، ثم أخرى فشربه، حتى شرب حلاب سبع شياه، ثم إنه أصبح فأسلم، فأمر له رسول الله ﷺ بشاة فحلبت، فشرب حلابها، ثم أمر بأخرى، فلم يستمها، فقال رسول الله ﷺ: «المؤمن يشرب في معي واحد والكافر يشرب في سبعة أعمام».

٤١٧٧ - * وعنه ، قال ، قال رسول الله ﷺ: «طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة» متفق عليه.

أقول: جماع القول أن من شأن المؤمن الكامل إيمانه أن يحرص في الزهادة وقلة الغذاء ويقنع بالبلغة*، بخلاف الكافر فإذا وجد من المؤمن والكافر على خلاف هذا الوصف فلا يقدح في الحديث، كقوله تعالى: ﴿الزاني لا يتكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا يتكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾^(١).

«مع»: قالوا: مقصود الحديث التقليل من الدنيا والحث على الزهد فيها والقناعة، مع أن قلة الأكل من محاسن أخلاق الرجل وكثرة الأكل بضدها. وأما قول ابن عمر* «رضي الله عنهما» في المسكين الذي أكل عنده كثيرًا: «لا يدخلن هذا علي» إنما قال هذا ؛ لأنه أشبه الكفار ومن أشبه الكفار كرهت مخالطته لغير حاجة أو ضرورة.

قوله: «المسند منه» اللام فيه موصولة والضمير في «منه» راجع إليه، أي الذي أسند إلى رسول الله ﷺ من الحديث، وهو قوله: «إن المؤمن يأكل» الحديث. و«فقط» ساكنة الطاء بمعنى فحسب. قوله: «ضافه ضيف» «نه»: ضفت الرجل إذا نزلت به في ضيافته، وأضفته إذا أنزلته، وتضيفته إذا نزلت به، وتضيفني إذا أنزلني. قوله: «فأمر رسول الله ﷺ بشاة» أي بإحلاب شاة والحلاب اللبن الذي يحلبه، والحلاب أيضًا المقلب الذي يحلب فيه.

الحديث السادس والسابع عشر عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «يكفى الاثنين»

«حسن»: حكى عن إسحاق بن راهويه عن جرير قال: تأويله شبع الواحد قوت الاثنين، وشبع الاثنين قوت الأربعة. قال عبد الله بن عروة: تفسير هذا ما قال عمر رضي الله عنه عام

(١) النور: ٣.

* ما يتبلغ به من العيش، لا فضل فيه. * هكلا في «ط» وفي «ك» «عمر» .
■ في «ط» : «عنه»

٤١٨٢ - * وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل. رواه البخاري.

٤١٨٣ - * وعن جابر، أن النبي ﷺ سأل أهله الأدم. فقالوا: ما عندنا إلا خل، فدعا به، فجعل يأكل به ويقول: «نعم الإدام الخل، نعم الإدام الخل» رواه مسلم.

٤١٨٤ - * وعن سعيد بن زيد، قال: قال النبي ﷺ: «الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين». متفق عليه. وفي رواية لمسلم: «من المن الذي أنزل الله تعالى على موسى عليه السلام».

٤١٨٥ - * وعن عبد الله بن جعفر، قال: رأيت رسول الله ﷺ يأكل الرطب بالقثاء. متفق عليه.

٤١٨٦ - * وعن جابر، قال: كنا مع رسول الله ﷺ بمر الظهران نجني الكبأ، فقال: «عليكم بالأسود منه؛ فإنه أطيب» فقل: «أكنت ترعى الغنم؟ قال: «نعم»، وهل من نبي إلا رعاها؟» متفق عليه.

الحديث الحادى والعشرون والثانى والعشرون عن جابر : قوله: «الأدم» هو جمع الإدام ككتبت وكتاب «فا»: الإدام اسم لكل ما يؤتم به ويصطبغ ، وحقيقته ما يؤتم به الطعام أى يصلح، وهذا يحىء لما يفعل به كثيرا فتركب لما يركب به، والحرام لما يحرم به. «خط»: فيه مدح الاقتصاد فى المأكول ومنع النفس عن ملاذ الأطلعمة.

«مع»: وفي معناه ما يخف مؤنته ولا يعز وجوده، وفيه أن من حلف أن لا يأندم، فأتدبم بخل حنت.

الحديث الثالث والعشرون عن سعيد: قوله: «الكمأة» «نه»: الكمأة معروفة واحدها كموء على غير قياس، وهى من النوادر؛ فإن القياس هو العكس. قيل: هو نبت يكون بالبرية تنشق عنه الأرض، وسيجىء بحثه فى الحديث الرابع فى الفصل الثالث من كتاب الطب والرقى.

الحديث الرابع والعشرون عن عبد الله: قوله: «بالقثاء» «مع»: فيه جواز أكل الطعامين مما والتوسع فى الأطلعمة، ولا خلاف بين العلماء فى جواز هذا، وما نقل عن بعض السلف من خلاف هذا، محمول على كراهية اعتياد التوسع والترفع والإكثار منه لغير مصلحة دينية.

الحديث الخامس والعشرون عن جابر: قوله: «نجنى الكبأ» «مع»: الكبأ بفتح الكاف ويعدا باء موحدة مخففة ثم ألف ثم ثاء مثناة، قيل: هو من ثمر الأراك.

٤١٨٨ - * وعن ابن عمر ، قال : نهى رسول الله ﷺ أن يقرن الرجل بين التمرتين حتى يستأذن أصحابه . متفق عليه .

٤١٨٩ - * وعن عائشة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « لا يجوع أهل بيت عندهم التمر » . وفي رواية : قال : « يا عائشة ! بيت لا تمر فيه ، جياع أهل » ، قالها مرتين أو ثلاثا . رواه مسلم .

٤١٩٠ - * وعن سعد ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من تصبّح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر » متفق عليه .

٤١٩١ - * وعن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن في عجوة العالية شفاء » ، وإنها ترياق أول البكرة » رواه مسلم .

الحديث الثامن والعشرون عن عائشة رضي الله عنها : قوله : « لا تمر فيه جياع أهل » « مع » : فيه فضيلة التمر وجواز الادخار للعيال والحث عليه . أقول : يمكن أن يحمل على الحث على القناعة في بلاد يكثر فيه التمر ، يعني بيت فيه تمر وقنعوا به لا يجوع أهل . وإنما الجائع من ليس عنده تمر ، وينصره الحديث الآتي قوله : « كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه نارا ، إنما هو التمر والماء » .

الحديث التاسع والعشرون عن سعد : قوله : « من تصبّح » « نه » : هو تفعل من « صبحت القوم » إذا سقيتهم الصبح ، وصبحت بالتشديد لغة فيه فاستعير للأكل . والعجوة نوع من تمر المدينة أكبر من الصيحاني ، يضرب إلى السواد من غرس النبي ﷺ .

« مظه » : يحتمل أن يكون في ذلك النوع من التمر خاصية تدفع السم والسحر ، وأن يكون رسول الله ﷺ قد دعا لذلك النوع من التمر بالبركة ، وبما يكون فيه من الشفاء .

« مع » : فيه فضيلة تمر المدينة وعجوتها وفضيلة التصبّح بسبع تمرات فيه ، وتخصيص عجوة المدينة وعدد السبع من الأمور التي علمها الشارع ، ولا نعلم نحن حكمها فيجب الإيمان بها واعتقاد فضلها والحكمة فيها . وهذا كأهداد الصلوات ونصب الزكوات وغيرها .

الحديث الثلاثون عن عائشة رضي الله عنها : قوله : « ترياق » « مع » : هو بكسر التاء وضمه لغتان . ويقال : ترياق أيضا . والعالية ما كان من الحوايط والقرى والعمارات من جهة المدينة العليا مما يلي نجدًا ، والسافلة من الجهة الأخرى مما يلي تهامة . وأدنى العالية ثلاثة أميال ، وأبعدا ثمانية من المدينة .

٤١٩٢ - * وعنهما، قالت: كَانَ يَأْتِي عَلَيْنَا الشَّهْرُ مَا نَوْقِدُ فِيهِ نَارًا، إِنَّمَا هُوَ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنْ يُؤْتَى بِاللَّحِيمِ. متفق عليه.

٤١٩٣ - * وعنهما، قالت: مَا شَبِعَ أَلْ مُحَمَّدٍ يَوْمِينَ مِنْ خَبْزٍ بَرٍّ إِلَّا وَأَحَدُهُمَا تَمْرٌ. متفق عليه.

قوله: «أول البكرة» ظرف للخبر على تأويل أنها نافعة للمس، كقوله تعالى: «وهو الله في السموات»^(١) أى معبود فيها. وهذه الجملة معطوفة على الأولى إما على سبيل البيان، كما فى قوله تعالى: «وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار»^(٢) أو على أنه من عطف الخاص على العام اختصاصاً ومزية، كما فى قوله ﷺ: «ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها».

الحديث الحادى والثلاثون عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «إلا أن يؤتى باللحيم» «مظ»: أى لا نطبخ شيئاً إلا أن يؤتى باللحم فحيث نوقد النار، ولو قيل: أن يؤتى منصوب بنزع اللام على أنه مفعول له لكان وجهاً حسناً، لا غبار عليه من التكلف البعيد أى لا نوقد لشيء من الأشياء إلا أن يؤتى، ولا يحملنا على ذلك إلا إتيان اللحيم، وإنما لم نقل منصوب على المفعول له مطلقاً، بل قيدنا بنزع الخافض. لفقدان الشرط وهو انتفاء كونه فعلاً لفاعل الفعل الممحل.

أقول: ظاهره مشعر بأنه استثناء منقطع، والأظهر أن يكون متصلاً؛ لأن «أن يؤتى» مصدر والوقت مقدر، فيكون المستثنى منه المجرور فى «فيه» العائد إلى «الشهر»، ويجوز أن يكون مستثنى مما يفهم من قوله: «إنما هو التمر والماء». والمعنى: ما المأكول إلا تمر وماء، إلا أن يؤتى باللحيم، فحيث يكون المأكول لحماً.

الحديث الثانى والثلاثون عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «إلا وأحدهما تمر» إما مستثنى من أعم عام الأحوال أو الأوصاف على مذهب صاحب الكشاف، يعنى استقرئت من أكل محمد يومين يومين، فلم أجد يومين موصوفين بصفة من الأوصاف إلا بأن أحد اليومين يوم تمر والآخر يوم خبز. وقد عرفنا أن ذلك ليس بشعب، فلا يكون ثمة شعب. وينصره قوله: «ما شبعنا من الأسودين» وهو على لغة بنى تميم.

قال المالكى فى شرح التسهيل: لغة بنى تميم إعطاء المنقطع المؤخر من مستثنيات إلا فى

(١) الأنعام: ٣.

(٢) البقرة: ٧٤.

٤١٩٤ - * وعنها، قالت: توفي رسول الله ﷺ وما شبعنا من الأسودين. متفق عليه.

٤١٩٥ - * وعن النعمان بن بشير، قال: ألتسم في طعام وشراب ما شئتُم؟ لقد رأيتُ نبيكم ﷺ وما يجدُ من الدقل ما يملأ بطنه. رواه مسلم.

٤١٩٦ - * وعن أبي أيوب، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتى بطعام أكل منه، وبعث بقضله إلى، وإنه بعث إلي يوماً بقصعة لم يأكل منها لأن فيها ثوماً، فسأله: أحرأمو؟ قال: «لا»، ولكن أكرهه من أجل ريحه» قال: فإني أكره ما كرهت. رواه مسلم.

غير الإيجاب من الإتياع ما للمتصل، فيقولون: ما فيها أحد إلا زيد، كما يقول الجميع. وعلى لغتهم قول الآخر:

ويلد لايس فيها انيس
إلا اليعافير وإلا العيس
ويلحق بهذا إتياع أحد المتبايعين الآخر نحو: ما أتاني زيد إلا عمرو، وما أمانه إخوانكم إلا إخوانه، فقلوه في الحديث: «بخبز شعير» واقع موقع زيد في هذا المثال للتأكيد.
الحديث الثالث والثلاثون عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «من الأسودين» «تو»: الأسودان التمر والماء، والسواد للتمر دون الماء فتعنا نبعث واحد. والعرب تفعل ذلك في الشيتين يصطحيان ويسميان ممّا باسم الأشهر منهما. هذا قول أصحاب الغريب، وقد بقى عليه بقية؛ وذلك أنهم لم يبينوا وجه التسوية بين الماء والتمر في العوز، ومن المعلوم أنهم كانوا في سعة من الماء. وإنما قالت ذلك؛ لأن الرى من الماء لم يكن ليحصل لهم من دون الشيع من الطعام؛ فإن أكثر الأمم لاسيما العرب، يرون شرب الماء على الريق بالغاً في المضرة فقرنت بينهما لعوز التمتع بأحدهما بدون الإصابة من الآخر، وعبرت عن الأمرين - أعنى الشيع والرئ - بفعل واحد كما عبرت عن التمر والماء بوصف واحد. «مظ»: يعني ما شبعنا من التمر والماء من التقوى لا من العوز.

الحديث الرابع والثلاثون عن النعمان: قوله: «ما شئتُم» صفة مصدر محذوف، أى ألتسم منغمسين في طعام وشراب مقدار ما شئتُم من التوسعة والإفراط فيه؟ فـ «ما» موصولة ويجوز أن تكون مصدرية، والكلام فيه تعبير وتوبيخ؛ ولذلك أتبعه بقوله: «لقد رأيتُ نبيكم» «ورأيت» إذا كان بمعنى النظر يكون «وما يجد» حالاً، وإن كان بمعنى العلم فيكون مفعولاً ثانياً. وأدخل الواو تشبيهاً له بخبر «كان» وأخواتها على مذهب الاخفش والكوفي*، «والدقل» ردى التمر ويأبسه وما ليس له اسم خاص.

الحديث الخامس والثلاثون عن أبي أيوب: قوله: «بعث إلى يوماً بقصعة لم يأكل منها» كذا

* هكذا في «ك» وفي «ط» «والكافي».

٤١٩٧ - * وعن جابر، أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا، فَلْيَعْتَزِلْنَا» أو قال: «فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا. أَوْ لِيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ». وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى بِقَدْرِ فِيهِ خَضِرَاتٌ مِنْ بُقُولٍ، فَوَجَدَ لَهَا رِيحًا، فَقَالَ: «قَرِّبُوهَا» - إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ، وَقَالَ: «كُلْ، فَإِنِّي أَنَاجِي مَنْ لَا تُنَاجِي» متفق عليه.

٤١٩٨ - * وعن المقدام بن معدى كرب، عن النبي ﷺ، قال: «كِيلُوا طَعَامَكُمْ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ» رواه البخاري.

في صحيح مسلم، وفي بعض نسخ المصابيح وفي سائرها لفظة «قصعة» و«منها»، ساقطتان. قوله: «أحرام هو؟» السؤال راجع إلى رسول الله ﷺ؛ لأنه إنما بعثه إليه ليأكله فلا يكون عليه حرامًا، ولذلك قال: «لا ولكن أكرهه». وقوله: «أكرهه من أجل ريحه» هذا ليس يعيب للطعام بل بيان للمانع من الحضور في المسجد ومخالطة الكبار.

«مع»: فيه تصريح بإباحة الثوم لكن يكره لمن أراد حضور الجماعة، ويلحق به كل ماله رائحة كريهة. وكان النبي ﷺ يترك الثوم دائماً؛ لأنه يتوقع مجيء الملائكة والوحي كل ساعة. واختلفوا في الثوم والبصل والكراث في حقه ﷺ، فقال بعض أصحابنا: هي محرمة عليه، والأصح عندهم أنها مكروهة كراهة تنزيه؛ لعدم قوله ﷺ: «لا» في جواب قوله: «أحرام هو؟». ومن قال بالأول يقول: معناه ليس بحرام في حقكم. وفيه أنه يستحب للأكل والشارب أن يفضل مما يأكل ويشرب.

الحديث السادس والثلاثون عن جابر: قوله: «بقدر» «تو»: رواية البخاري في كتابه بالغاف. وقيل: إن الصواب فيه «أتى بيدر» بالباء أى يطبق وهو طبق يتخذ من الخوص. ولعله سمي بذلك لاستدارته استدارة البدر. «مع»: «أتى بقدر» هكلاً هو في نسخ صحيح مسلم، ووقع في صحيح البخاري وسنن أبي داود وغيرها من الكتب المعتمدة «أتى بيدر» بياضين موحدين. قال العلماء: هذا هو الصواب وفسر الرواة وأهل اللغة والغريب البدر بالطبق.

و«خضرات» بفتح الخاء وكسر الصاد، أى بقول خضرات، ورواه بعضهم بضم الخاء وفتح الصاد. قوله: «إلى بعض أصحابه» لعل لفظ الرسول ﷺ قريها إلى فلان بقرينة قوله: «كل»، فأتى الراوى معنى ما تلفظ به ﷺ؛ لكونه لم يذكر التصريح باسمه فعبر عنه ببعض أصحابه.

الحديث السابع والثلاثون عن المقدام: قوله: «كِيلُوا طَعَامَكُمْ» «مظ»: الغرض من كيل الطعام معرفة مقدار ما يستقرض الرجل ويبيع ويشترى؛ فإنه لو لم يكل لكان ما يبيعه ويشتره

٤١٩٩ - * وعن أبي أمامة، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ مَكْفَى وَلَا مُودَعٍ وَلَا مُسْتَغْنَى عَنْهُ رَبَّنَا» رواه البخارى.

٤٢٠٠ - * وعن أنس، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لِيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فِيحَمْدُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فِيحَمْدُهُ عَلَيْهَا» رواه مسلم.

وسنذكرُ حديثي عائشة وأبي هريرة: ما شَبِعَ أَلُ مُحَمَّدٍ، وخرجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ الدُّنْيَا فِي «بَابِ فَضْلِ الْفُقَرَاءِ» إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

مجهولا، ولا يجوز ذلك. وكذلك لو لم يكل ما ينفق على العيال ربما يكون ناقصا عن قدر كفايتهم، فيكون النقصان ضررا عليهم. وقد يكون رائدا على قدر كفايتهم، ولم يعرف ما يدخر لتمام السنة، فأمر رسول الله ﷺ بالكيل؛ ليكونوا على علم ويقين فيما يعملون. فمن راعى سنة رسول الله ﷺ يجد بركة عظيمة في الدنيا وأجرًا عظيمًا في الآخرة. انتهى كلامه.

فإن قلت: كيف التوفيق بين هذا وما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها: أنها قالت: توفي رسول الله ﷺ، وما لى شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رق. فكلته. فبنى .

قلت: الكيل عند البيع والشراء مأمور به لإقامة القسط والعدل، وفيه البركة والخير، وعند الإنفاق إحصاء وضبط وهو منهي عنه؛ قال ﷺ: «أنفق بلالا ولا تخش من ذى العرش إقلاقا».

الحديث الثاني والثلاثون عن أبي أمامة: قوله: «غير مكفى» يروى بالرفع والنصب وكذا ربنا. وفيه وجه:

أحدها غير مردود ولا مقلوب، والضمير راجع إلى الطعام الدال عليه سياق الكلام.

وثانيها: مكفى من الكفاية فيكون من المعتل، يعنى أن الله تعالى هو المطعم والكافى وهو غير مطعم ولا مكفى، فيكون الضمير راجعا إلى الله تعالى. وقوله: «ولا مودع» أى غير متروك الطلب إليه والرغبة فيما عنده.

وثالثها: أن يكون الكلام راجعا إلى الحمد كانه قال: «حمدا كثيرا مباركا فيه غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه» أى الحمد. فالضمير راجع إلى الحمد. وقوله: «ربنا» على الأول والثالث منصوب على الدعاء وحرف النداء محلوف. وعلى الثاني مرفوع على الابتداء، «وغير مكفى» خبره. وهذا من تلخيص كلام ابن السكيت والخطايب من جامع الأصول.

الحديث التاسع والثلاثون عن أنس رضى الله عنه: قوله: «الأكلة» هو بالفتح للمرة.

٤٢٠٨ - * وعن سلمان، قال: قرأتُ في التوراة أنَّ بركةَ الطعامِ الوضوءُ بعده، فذكرتُ ذلك للنبي ﷺ. فقال رسولُ الله ﷺ: «بِرَكَّةِ الطعامِ الوضوءُ قبلَهُ والوضوءُ بعده». رواه الترمذی، وأبو داود. [٤٢٠٨]

٤٢٠٩ - * وعن ابنِ عباسٍ، أنَّ النبي ﷺ خرجَ منَ الخلاءِ، فقَدِمَ إليه طعامٌ، فقالوا: ألا نأتيكَ بوضوء؟ قال: «إنَّما أمرتُ بالوضوءِ إذا قمتُ إلى الصلاة». رواه الترمذی، وأبو داود، والنسائي. [٤٢٠٩]

٤٢١٠ - * ورواه ابنُ ماجه، عن أبي هريرة.

٤٢١١ - * وعن ابنِ عباسٍ، عن النبي ﷺ: أَنَّهُ أَتَى بِقِصْعَةٍ مِنْ ثَرِيدٍ، فَقَالَ: «كُلُوا مِنْ جَوَانِبِهَا، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسْطِهَا؛ فَإِنَّ الْبِرْكَهَ تَنْزَلُ فِي وَسْطِهَا». رواه الترمذی، وابنُ ماجه، والدارمی، وقال الترمذی: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح. وفي

الإطعام والسقي والتسويق وهو تسهيل الدخول في الحلقي؛ فإنه خلق الأسنان للمضغ والريق للبلع، وجعل المعدة مقسما للطعام. ولها مخارج: فالصالح منه ينبعث إلى الكبد وغيره يندفع من طريق الأمعاء، وكل ذلك فضل من الله الكريم، ونعمة يجب القيام [بموجبها]* من الشكر بالجنان والثناء باللسان والعمل بالأركان.

الحديث السابق عن سلمان: قوله: «الوضوء قبله» أراد بالوضوء هنا غسل اليدين وتنظيفهما. وجوابه ﷺ من الأسلوب الحكيم حيث قرر ما تلقاه به وزاد عليه.

ومعنى بركة الوضوء في أول الطعام: النمو والزيادة فيه، وفي آخره: عظم فائدة الطعام باستعمال النظافة. فإذا ترك ذلك ضربه الخم الذي حصل في يده من الطعام، وعاقبه عن استمراره، فالبركة في الأول بمعنى النمو، وفي الآخر بمعنى التعظيم واستدامتها.

الحديث الثامن عن ابن عباس: قوله: «إنما أمرت بالوضوء» هذا إنما ينطبق على السؤال إذا اعتقد السائل أن الوضوء قبل الطعام واجب، فنفي ﷺ وجوبه حيث أتى بأداة الحصر وأسند الأمر إلى الله تعالى، فلا ينافي جوابه. والمأمور به هو قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا﴾ (١) فلا يتم استدلال الشارحين به على نفي الوضوء قبل الطعام في الحديث السابق.

[٤٢٠٨] إسناده ضعيف

[٤٢٠٩] صحيح، انظر صحيح الجامع (٢٣٣٧).

(١) المائدة: ٦

* في «ط» و «ك»: «بموجبها».

٤٢٢١ - * وعن أبي أسيد الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِهِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ». رواه الترمذی، وابن ماجه، والدارمی. [٤٢٢١]

٤٢٢٢ - * وعن أم هانئ، قالت: دخل على النبي ﷺ فقال: «اعنذك شيء؟» قلت: لا، إلا خبز يابس وخل. فقال: «هاتي، ما أقفر بيت من آدم فيه خل». رواه الترمذی، وقال: هذا حديث حسن غريب. [٤٢٢٢]

٤٢٢٣ - * وعن يوسف بن عبد الله بن سلام، قال: رأيت النبي ﷺ أخذ كسرة من خبز الشعير، فوضع عليها تمر، فقال: «هذه إدام هذه» وأكل. رواه أبو داود. [٤٢٢٣]

الحديث التاسع عشر والمشرون عن أم هانئ: قوله: «قلت: لا إلا خبزاً» المستثنى منه محذوف، والمستثنى بدل منه، ونظيره في الصحاح قول عائشة رضي الله عنها: «لا إلا شيء بعثت به أم عطية». قال المالكى: فيه شاهد على إبدال ما بعد إلا من محذوف؛ لأن الأصل: لا شيء عندنا إلا شيء بعثت به أم عطية. انتهى كلامه.

فإن قلت: من حق أم هانئ أن تجيب بدلى عندى خبز؟ فلم عدلت عنه إلى تلك العبارة؟ قلت: كأنها [عظمت] * شأن رسول الله ﷺ، ورأت أن الخبز اليابس والخل لا يصلحان أن يقدموا إلى مثل ذلك الضيف، فما عدتهما بشيء؛ ومن ثم حسنت المطابقة بقوله ﷺ: «ما أقفر بيت فيه خل».

قوله: «من آدم» متعلق بـ «أقفر». وقوله: «فيه خل» صفة بيت، وقد فصل بين الصفة والموصوف بالأجنبي، وهو لا يجوز. ويمكن أن يقال: إنه حال، وذو الحال على تقدير الموصولية أى بيت من البيوت. «نه»: «ما أقفر بيت فيه خل» أى ما خلا من الإدام ولا عدم أهله الإدام. والقفار الطعام بلا آدم. وأقفر الرجل إذا كان الخبز وحده من القفر والقفار، وهى الأرض المخالطة التى لا ماء فيها.

الحديث الحادى والمشرون عن يوسف: قوله: «هذه إدام هذه» لما كان التمر طعاماً مستقلاً ولم يكن متعارفاً بالأدومة فأخبر أنه يصلح لها. «حسن»: من حلف أن لا يأكل خبزاً إدام فأكله بتمر بحث. وكذلك إذا أكله بملح أو ثوم أو بصل.

[٤٢٢١] صحيح (صحيح الجامع ٤٤٩٨).

[٤٢٢٢] حسن (صحيح الجامع ٤٤٩٨).

[٤٢٢٣] قال الشيخ: إسناده ضعيف

* فى «طه» وفى: «عظم» وما أبتناه أشبه بالصواب.

٤٢٢٨ - * وعن سلمان، قال: سئل رسول الله ﷺ عن السمن والجبن والفراء، فقال: «الحلال ما أحل الله في كتابه، والحرام ما حرم الله في كتابه، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه». رواه ابن ماجه، والترمذى، وقال: هذا حديث غريب وموقوف على الأصح. [٤٢٢٨]

٤٢٢٩ - * وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «وددت أن عندى خبزة ييضاء من برة سمراء ملبقة بسمن ولبن» فقام رجل من القوم فاتخذته، فجاء به، فقال: «فى أى شىء كان هذا؟» قال: فى عكة صب. قال: «ارفعه». رواه أبو داود، وابن ماجه. وقال أبو داود: هذا حديث منكرو. [٤٢٢٩]

٤٢٣٠ - * وعن على رضى الله عنه، قال: نهى رسول الله ﷺ عن أكل الثوم إلا مطبوخاً. رواه الترمذى، وأبو داود. [٤٢٣٠]

فيه دليل على طهارة الانفة لأنها لو كانت نجسة لكان الجبن نجساً؛ لأنه لا يحصل إلا بها. الحديث السادس والعشرون عن سلمان: قوله: «والفراء» «قض»: الفراء بالمد جمع الفراء: وهو حمراء الوحش. وقيل: هو هنا جمع الفرو الذى يلبس، ويشهد له أن بعض المحدثين أورده فى باب ما يلبس. أقول: يعنى بقوله: بعض المحدثين الترمذى؛ فإنه ذكره فى باب لبس الفراء، وذكره ابن ماجه فى باب السمن والجبن.

الحديث السابع والعشرون عن ابن عمر رضى الله عنهما: قوله: «وددت» «قض»: أى تمنيت والسمراء من الصفات الغالبة خليت على الحنطة فاستعملها ها هنا على الأصل. وقيل: هي نوع من الحنطة فيها سواد خفى، ولعله أحمد الأنواع عندهم. والمليقة بالسمن المبلولة المخلوطة به خلطاً شديداً، يقال: ثريدة مليقة إذا بلت وخلطت خلطاً شديداً، من التلييق وهو التبليل. والعكة القرية الصغيرة.

وإنما أمر برفعه لتنفير طبعه عن الفسب كما دل عليه حديث خالد، لا لنجاسة جلده وإلا لأمره بطرحه ونهاه عن تناوله. هذا الحديث مخالف لما كان عليه من شيمته ﷺ وكيف وقد أخرج مخرج الثمنى، ومن ثم صرح أبو داود بكونه منكراً.

[٤٢٢٨] حسن «صحيح ابن ماجه ٥/٢٧».

[٤٢٢٩] ضعيف «ضعيف الجامع ٦١٣٧» ضعيف ابن ماجه ٢٧٧٧.

[٤٢٣٠] صحيح «إرواء الغليل ٨/٢٥١٢».

يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده، وأنا حضرنا معه مرة طعاماً، فجاءت جارية كأنها تدفع، فذهبت لتضع يدها في الطعام، فأخذ رسول الله ﷺ بيدها، ثم جاء أعرابي كأنما يدفع، فأخذته بيده. فقال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها، فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به، فأخذت بيده، والذي نفسى بيده، إن يده فى يدي مع يدها». زاد فى رواية: ثم ذكر اسم الله وأكل. رواه مسلم.

٤٢٣٨ - * وعن عائشة، أن رسول الله ﷺ أراد أن يشتري غلاماً، فألقى بين يديه تمرًا فأكل الغلام فأكثر، فقال رسول الله ﷺ: «إن كثرة الأكل شؤم» وأمر برده. رواه البيهقي فى «شعب الإيمان». [٤٢٣٨]

٤٢٣٩ - * وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «سيد إدامكم الملح». رواه ابن ماجه. [٤٢٣٩]

٤٢٤٠ - * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وضع الطعام فأخلموا نعالكم؛ فإنه أروح لأقدامكم». [٤٢٤٠]

٤٢٤١ - * وعن أسماء بنت أبى بكر: أنها كانت إذا أتيت بشريد أمرت به ففطى، حتى تذهب قوره دخانه، وتقول: «إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هو أعظم للبركة». رواه الدارمي. [٤٢٤١]

سرعتها كأنها مطرودة أو مدفوعة. قوله: «إن يده فى يدي مع يدها» الظاهر يدهما كما جاء فى رواية أخرى، أى يد الشيطان مع يد الرجل والجارية فى يدي. «مع»: أما على رواية يدها بالإنفراد فالضمير للجارية وهى أيضاً مستقيمة؛ لأن إثبات يدها لا ينفى يد الأعرابي. وإذا صلحت الرواية بالإنفراد وجب قبولها وتأويلها والله أعلم.

الحديث الثالث والرابع عن أنس رضى الله عنه: قوله: «سيد إدامكم الملح» لأنه أقل مؤنة وأقرب إلى القناعة؛ ومن ثم التفتت به أكثر العارفين.

الحديث الخامس والسادس عن أسماء: قوله: «قوره دخانه» أى غليان بخاره و«حتى» ليست بمعنى «كى» بل لمطلق الغاية. وقوله: «أعظم للبركة» أى عظيم البركة.

[٤٢٣٨] ضعيف «ضعيف الجامع» ١٩٠٩.

[٤٢٣٩] ضعيف «ضعيف الجامع» ٣٣١٥.

[٤٢٤٠] ضعيف جداً «ضعيف الجامع» ٨١٩.

[٤٢٤١] إسناده ضعيف، انظر كشف الخفاء (٢٨/١) (٣٦).

٤٢٤٢ - * وعن نُبَيْشَةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَكَلَ فِي قِصْعَةٍ ثُمَّ لَحَسَهَا، تَقُولُ لَهُ الْقِصْعَةُ: اَعْتَقَكَ اللَّهُ مِنَ النَّارِ كَمَا اَعْتَقْتَنِي مِنَ الشَّيْطَانِ». رواه
 دِلين. [٤٢٤٢]

(١) باب الضيافة

الفصل الأول

٤٢٤٣ - * عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ. وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ. وَمَنْ كَانَ
 يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ». وفي رواية: بَدَلَ «الْجَارِ». «وَمَنْ
 كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ فَلْيُصِلْ رَحِمَهُ». متفق عليه.

الحديث السابع عن نبیشه: قوله: «ثم لحسها» «ثم» للتراخي في الرتبة أى لحسها أكمل من مجرد الأكل منها؛ ولهذا عقبه بقوله: «تقول له» والقول هنا يحتمل أن يكون حقيقة وإن يكون استعاره، كما في قول الشاعر:

تقول الأسراع للبطن الحقي

باب الضيافة

«غب»: أصل الضيف الميل يقال: ضفت إلى كذا وأضفت كذا إلى كذا. والضيف من مال
 إليك نالاً بك، وصارت الضيافة متعارفة في القرى. وأصل الضيف مصدر، ولذلك استوى فيه
 الواحد والجمع في عامة كلامهم.

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «فليكرم ضيفه» «حس»: قال الله
 تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (١). قيل: أكرمهم إبراهيم عليه السلام
 بتعجيل قراهم والقيام بنفسه عليهم، وطلاقة الوجه، وكان سلمان إذا دخل عليه رجل فدعا بما
 حضر خبزاً وملحاً، وقال: لولا أنا نهيتا أن يتكلف بعضنا بعضاً لتكلف لك. «مع»: قال
 القاضي عياض: من التزم شرائع الإسلام لزمه إكرام جاره وضيفه وبرهما، وقد أوصى الله
 تعالى بالإحسان إلى الجار، والضيافة من محاسن الشريعة ومكارم الأخلاق.

[٤٢٤٢] أخرجه ابن ماجه والترمذى وأحمد لكن بلفظ «استغفرت له القصة» وضعفه الشيخ الألبانى فى «ضعيف الجامع ٤٥٤٨٧» وضعيف ابن ماجه ٧٠٣، ٧٠٤.

(١) للذريات: ٢٤.

٤٢٤٤ - * وعن أبي شريح الكعبي، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، جَانِزَتُهُ يَوْمَ وَلِيلَتُهُ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتَوَيَّعَ عِنْدَهُ حَتَّى يُحَرِّجَهُ». متفق عليه.

وقد أوجبها الليث ليلة واحدة، واحتج بحديث عقبة: «إن نزلتم بقوم فأمرؤا لكم بحق الضيف فاقبلوا، وإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم». وعامة الفقهاء على أنها من مكارم الأخلاق. ورحمهم الله قوله ﷺ: «جَانِزَتُهُ يَوْمَ وَلِيلَتُهُ»، والجائزة العطية والمنحة والصلة، فذلك لا يكون إلا مع الاختيار. وقوله: «فليكرم ضيفه» يدل على هنا أيضاً، إذ ليس يستعمل مثله في الواجب. وتأولوا الأحاديث أنها كانت في أول الإسلام إذ كانت الموساة واجبة.

واختلف: هل الضيافة على الحاضر والبادي أم على البادي خاصة؟ فذهب الشافعي ومحمد بن عبدالحكم إلى أنها عليهما. وقال مالك وسحنون: إنما ذلك على أهل البوادي، لأن المسافر يجد في الحضر المنازل في الفنادق ومواقع النزول، وما يشتري في الأسواق، هذا كلام القاضي. وأما قوله: «فليقل خيراً أو ليصمت» فمعناه أنه إذا أراد أن يتكلم، فإن كان ما يتكلم به خيراً محققاً يثاب عليه، واجباً كان أو مندوباً فليتكلم. وإن لم يظهر له غيره فليمسك عنه سواء ظهر له أنه حرام أو مكروه أو مباح، فعلى هذا يكون الكلام المباح مأموراً بتركه مندوباً إلى الإمساك عنه مخافة من الجرامة إلى الحرام.

وقال الشافعي في معنى الحديث: من أراد أن يتكلم فليتكلم، فإن ظهر له أنه لا ضرر عليه، تكلم، وإن ظهر له فيه ضرر أو شك فيه أمسك. وقال بعض علماء المالكية: جماع آداب الخير تنفرع من أربعة أحاديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» «ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، وقوله للذي اختصر له الوصية. «لا تغضب» وقوله: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

الحديث الثاني عن أبي شريح: قوله «جَانِزَتُهُ يَوْمَ وَلِيلَتُهُ» «فأ»: الجائزة من أجاره بكذا إذا أنصفه وألطفه كالفاضلة واحدة الفواضل من أفضل عليه. «حسن»: سئل عن ذلك مالك بن أنس فقال: يكرمه ويتحفه يوماً وليلة.

قوله: «والضيافة ثلاثة أيام» «نه»: أي يضاف ثلاثة أيام فيتكلف له في اليوم الأول ما اتسع له من بر وإلطف، ويقدم له في اليوم الثاني والثالث ما حضر ولا يزيد على عادته، ثم يعطيه ما يجوز به مسافة يوم وليلة وتسمى الجيزة. وهو قدر ما يجوز به المسافة من منهل إلى منهل، فما كان بعد ذلك فهو صدقة ومعروف إن شاء فعل وإن شاء ترك.

٤٢٤٦ - * وعن أبي هريرة، قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟» قالوا: الجوع قال: «وأنا والذي نفسى بيده لأخرجتني الذي أخرجكما، قوموا» فقاموا معه، فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رآته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً. فقال لها رسول الله ﷺ: «أين فلان؟» قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء. إذ جاء الأنصارى

وثالثها: أن هذا كان في أول الإسلام وكانت المواساة واجبة، فلما أشيع الإسلام نسخ، وهذا التأويل باطل، لأن الذي ادعاه المؤول لا يعرف قائله.

ورابعها: أنه محمول على من مر بأهل الدمة الذين شرط عليهم ضيافة من يمر بهم من المسلمين، وهذا أيضاً ضعيف إنما صار هذا في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الحديث الرابع عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «الجوع» «مع»: فيه جوار ذكر الإنسان ما ناله من ألم ونحوه، لا على التشكي وعدم الرضاء وإظهار الجزع. ولما كانا رضي الله عنهما على المراقبة ولزوم الطاعة، ففرض لهما هذا الجوع المفرط المانع من كمال النشاط بالعبادة وتمام التلذذ بها، سمياً في إزالته بالخروج في طلب سبب مباح يدفعانه به. وقد نهى عن الصلاة مع مدافعة الأخشين وبحضرة الطعام. وقوله: «فأنا» بالفاء في بعض النسخ وفي بعضها بالواو.

وقوله: «قوموا فقاموا» هكذا هو في الأصول بضمير الجمع وهو جائز، فمن قال: بأن أقل الجمع اثنان فظاهر. ومن قال بأن أقله ثلاثة فمجاز.

قوله: «فأتى رجلاً» «شف»: أفراد الضمير وإسناده إلى النبي ﷺ بعد قوله: «قوموا فقاموا» يدلان بأنه ﷺ المطاع، وأنهما كانا مطيعين ومتقادين كمن لا اختيار له. «مع»: الرجل هو أبو الهيثم مالك بن النيثان بفتح التاء وكسر الياء المثناة تحت وتشديدها.

وفيه جوار الإدلال على الصاحب الذي يوثق به واستيعاب جماعة إلى بيته. وفيه منقبة له وكفى به شرفاً بذلك. وفيه استحباب إكرام الضيف بقوله: «مرحباً وأهلاً» أي: صادفت رجلاً وسعة وأهلاً تستأنس بهم، وفيه جوار سماع كلام الأجنبية ومراجعتها للكلام للحاجة. وجواز إذن المرأة في دخول منزل زوجها لمن علمت علماً محققاً أنه لا يكرهه بحيث لا يخلو بها الخلوة المحرمة. وقوله: «فأتى رجلاً» أي بيت رجل أو قصده، فلما بلغ بيته فإذا هو ليس في بيته، أي وقت خلوة من بيته، كقوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (١)

الفصل الثاني

٤٢٩٢ - * عن أبي مالك الأشعري، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لِشْرِينَ» ناسٌ من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها». رواه أبو داود، وابن ماجه. [٤٢٩٢]

الفصل الثالث

٤٢٩٣ - * عن عبدالله بن أبي أوفى، قال: نهى رسول الله ﷺ عن نَبِيلِ الجَرِّ الأخضر، قلتُ: أَتَشْرَبُ فِي الْإِيضِ؟ قال: «لا». رواه البخاري.

(٥) باب تغطية الأواني وغيرها

الفصل الأول

٤٢٩٤ - * عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَ جَنَحُ اللَّيْلِ، أَوْ أَمْسَيْتُمْ فَكُفُّوا صَبِيَانَكُمْ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَتَشَرُّ حَيْثُذُ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ

الفصل الثاني

الحديث الأول عن أبي مالك: قوله: «لِشْرِينَ» إلى آخره إخبار فيه شابة إنكار، «تو»: المراد منه أنهم يسترون في شربها بأسماء الأئبله المباحة.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن عبدالله بن أبي أوفى: قوله: «الجر الأخضر» «نه»: الجر والجرار جمع جرة، وهو الإناء المعروف من الفخار، وأراد بالنهي الجرار المدهونة؛ لأنها أسرع في الشدة والتخمير. «خط»: إنما جرى ذكر الخضرة من أجل أن الجرار التي كانوا يتبذون فيها كانت خضرة، والأبيض بمثابة؛ لما سبق من الحديث الآخر في الفصل الأول.

باب تغطية الأواني وغيرها

الفصل الأول

الحديث الأول عن جابر: قوله: «أو أَمْسَيْتُمْ» شك للراوى و«جَنَحُ اللَّيْلِ» بالفتح والكسر طائفة من الليل، وأراد به هنا الطائفة الأولى منه عند امتداد فحمة العشاء. وقوله: «لا يفتح بابًا مغلقًا» أى بابًا أُغْلِقَ مع ذكر اسم الله عليه، يوضحه الحديث الأول من الفصل الثاني في قوله: «فإن الشيطان لا يفتح بابًا إذا أُجِيفَ وذكر اسم الله عليه».

يترك فيها وباءً لا يمر بإناءٍ ليسَ عليه غطاءٌ أو سقاءٍ ليسَ عليه وكاءٌ إلا نزلَ فيه من ذلك الوياءُ».

٤٢٩٩ - * وعنه، قال: جاء أبو حميد - رجل من الأنصار - من النقيع بإناءٍ من لبن إلى النبي ﷺ، قال النبي ﷺ: «ألا خمرته ولو أن تعرض عليه عوداً». متفق عليه.

٤٣٠٠ - * وعن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «لا تتركوا النارَ في بيوتكم حين تنامون». متفق عليه.

٤٣٠١ - * وعن أبي موسى، قال: احترقَ بيتٌ بالمدينة على أهله من الليل، فحدثَ بشأنه النبي ﷺ قال: «إنَّ هذه النارَ إنما هي عدوٌ لكم، فإذا نمتُم فاطفئوها عنكم». متفق عليه.

المسعة، و«الواء» بالمد والقصر والهمز الطاعون والعرض العام. «مع»: فيه جمل من أنواع الخير والآداب الجامعة، جماعها تسمية الله تعالى في كل فعل وحركة وسكون لتحصيل السلامة من الآفات الدنيوية والأخروية.

الحديث الثاني عن جابر: قوله: «من النقيع» «مع»: روى بالنون والباء، والصحيح الأشهر الذي قاله الخطابي والاكثرون بالنون، وهو موضع بوادي العقيق وهو الذي حماه رسول الله ﷺ قوله: «ألا خمرته» «ألا» حرف التحضيض دخل على الماضي للوم على الترك، والوم إنما يكون على مطلوب ترك، كان الرجل جاء بإناء مكتشفاً غير مخمر فويخه. يقال: عرضت العود على الإناء أعرضه بكسر الراء في قول عامة الناس إلا الأصمعي؛ فإنه قال: أعرضه مضمومة الراء في هذا خاصة. المعنى: هلا تغطيه بغطاء، فإن لم تفعل فلا أقل من أن تعرض عليه شيئاً.

الحديث الثالث والرابع عن أبي موسى: قوله: «على أهله» إما حال أي ساقطاً عليهم أو متعلق باحترق أي ضرره عليه. والمشار إليه بهذه النار نار مخصوصة؛ وهي التي يخاف عليها من الانتشار. قال الشيخ محيي الدين في قوله ﷺ: «لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون»: هذا عام يدخل فيه السراج وغيره، وأما القناديل المعلقة، فإن خيف منها يدخل في الأمر بالاطفاء؛ وإن أمن منها كما هو الغالب؛ فالظاهر أنه لا بأس بها لانقضاء العلة؛ فإن النبي ﷺ علل الأمر بالاطفاء بقوله: «إن الفويسقة تضرم على أهل البيت».

